



الشيخ محمد رضا الشيباني ... وطينا

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الاستاذ الاول المتمرس في جامعة الكوفة

العلمين للنشر

باسمه تعالى

احتفاءً بمرور نصف قرن على رحيل
العلامة الشيخ محمد رضا الشيبلي
ينظم

مجلس النواب

والمجمع العلمي العراقي

ومؤسسة بحر العلوم الخيرية

مؤتمراً بعنوان

السَّبِيحُ ... أَصَالَةُ التَّاسِيسِ وَتَجَدُّدُ الْعَطَاءِ

بغداد - النجف الاشرف

٣-٢ ربيع الأول ١٤٣٩ هـ

٢٢-٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٧ م

**الشيخ
محمد رضا الشيبيني
... وطنيا**

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة



الشيخ محمد رضا الشبيبي.. ووطنيا

الولادة والنشأة الحوزوية:

الشيخ محمد رضا بن الشيخ جواد بن الشيخ محمد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر النجفي الشبيبي.

ولد في النجف الأشرف في السادس من شهر رمضان المبارك عام ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م. نشأ في رحاب عاصمة العلم والأدب النجف الأشرف، في ظل رعاية أبوية رائدة لوالده الشيخ جواد الشبيبي، حارس اللغة الفصحى في عصره، وبلبل العراق الغريد، وشاعر الأمة العربية جمعا.

كان لهذا الأب الإنساني فضل العناية بهذا الولد البار في مجال التحصيل المعرفي الجاد، وعوالم الشعر العربي الأصيل، وهو - بعد - رجل موسوعي المواهب، متعدد الجوانب علماً وأدباً ولغة وفقهاً وأصولاً، وهو من أبرز أقرانه في مجالي النثر والشعر، ومن ألع أئمة البيان العربي مقالةً، ورسالةً، ومقامةً، وبنداً، وترسلاً بلاغياً، وهو من أكثر الناس صلة بطبقات المجتمع العراقي العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية، وفي أقرب الأواصر من أعرق الأسر العربية في النجف

الأشرف، وبأفضل المترلة لدى الفقهاء والعلماء والعشراء حتى سُمي «شيخ الأدب» ولدى وفاته عام ١٩٤٤م أطلق عليه «فقيه العلم والأدب».

نشأ ولده الشيخ محمد رضا الشبيبي في دوحة هذا المجد الوارف، وفي ذروة هذا الشرف الباذخ، نشأة تتسم بالأصالة، واختط لنفسه سبيلاً مهيباً منذ شبابه المبكر، فجمع بين فضيلتي العلم والأدب، وأتقن دروس الحوزة العلمية في النجف اتقاناً كبيراً، درس النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والفقهاء الفتوائى وعلم الأصول والحكمة والفلسفة لدى أساتيد الحوزة العلمية، ولازم درس السطوح العالية لدى الإمام السيد حسين الحماي (ت١٣٧٩هـ) وأكمل تحصيله العلمي الدقيق في «البحث العالي الخارج» لدى الاستاذ الأكبر زعيم الأحرار الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني (ت١٣٢٩هـ) صاحب كتاب «كفاية الأصول».

وأنت ترى الشبيبي هنا ذلك الطالب المجد في طلب العلم منذ مبادئه حتى أرقى مراتبه في الدراسات العليا، وقد لاحظته لدى ملازمتي له في عقد من الزمن خبيراً وضيعاً في مفردات علوم الحوزة، يناقش ويناضر ويحاور، ويقرر ويرتثي ويختار، وما زالت ذكرياته إفاضاته - وقد مضى على فقدته أربعون عاماً - ترن في مسامعي، وتمتلك علي مشاعري لحسن أدائه ودقة مطالبه، وهو يزجها بروحه المرحة، ويفيضا بلسانه العذب وصوته الجريء.

الشبيبي وطيناً في شعره:

مما امتازت به بيئة النجف الأشرف منذ تأسيسها قبل اثني عشر قرناً حتى اليوم، أن أغلب طلاب حوزتها العلمية يقرضون الشعر منذ عهد الصبا، ويتبارى معهم العلم والشعر في مضمار واحد، وقد يجلي الطالب الحوزوي في أحدهما، وقد يجمع بين الأمرين.

وكان الشبيبي قد بدأ حياته منذ اختط عارضاه شاعراً جزلاً مبدعاً، حتى إذا بلغ العشرين من عمره، قال عنه الشيخ علي كاشف الغطاء والد الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ما نصه: «شابٌ أديب وشاعر لبيب، قد حصل على جملة من العلوم العربية، حسن النظم جيدة، قوي النثر أيده، شعره يفوق الشعري العبور، ذو ذهن وقاد وفكر نقاد، ولم يزل ينظم سلك اللآلي في سائر الأيام والليالي، فهو بريعان الصبا، وعنقوان الشباب، ونزوة التصابي، بين أهل الفضل والآداب»^(١).

ففي السابعة عشرة من عمره رثى الفقيه المقدس الشيخ محمد طه آل نجف (ت ١٢٢٣هـ) بقصيدتين، مطلع الأولى:

لنعيك قد طال الحنين المرجع غداة نعى الناعون فيك فاسمعوا
ومطلع الثانية:

صفائح العلم قد فلت مضاربها وقوضت بعد بانيتها مضاربها^(٢)

وفي الثالثة والعشرين من عمره عدته محافل النجف شاعراً كبيراً، إذ رثى العالم الشاعر السيد باقر الموسوي الهندي (ت ١٢٢٩هـ / محرم / ١٣٢٩هـ) برائعة مطلعها:

أتى الأفق مبرياً.. فقيل هلاله ولو قيل قوس.. صدقته نباله^(٣)

وفي العام نفسه رثى أستاذه المرجع الأعلى الشيخ محمد كاظم الخراساني (ت ١٢٢٩هـ) وقد استنفر المسلمين للجهاد وفي احتلال روسيا لأجزاء من إيران، فتوفي ليلة عزمه على السفر، مسموماً في أرجح الأحوال، ومطلع القصيدة:

الدين فيك المعزى لو ثوى فينا لكننا قد فقدنا بعدك الدينا^(٤)

(١) الحصون المنيعه ١٤٩/٩ / مخطوط في مكتبة كاشف الغطاء.

(٢) محمد جمال الهاشمي / المجموعة الشعرية الخطية / بحوزة أبنائه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) محمد رضا الشبيبي / الديوان / ٧٨-٧٩.

وكانت هذه القصيدة بأفكارها التحريرية بداية زعامة الشبيبي للشعر العراقي يشاركه فيها الأستاذ معروف الرصافي.

وطبيعي أن هذا الشعر جاء معبراً عن بيئته باستعمال الجناس والتشبيه والمبالغة، إلا أنه بعد هذا التاريخ بأربع سنوات كان قد تطور شعره، وتناقلته الصحف والمجلات في البلدان العربية، وعد من أبرز شعراء العربية، سيما حين رثى بطل العلم والجهاد والسيد محمد سعيد الجبوبي برأئته التي مطلعها:

عم الثغور الموحشات ظلام ودجت لأنك ثغرها البسام

وقد رثى الأستاذ الشبيب شهداء العروبة الذين أعدمهم جمال باشا السفاح في «عاليه» بلبنان، بقصيدة عصماء كانت من أهم أسباب شهرته عند العرب، وهي:
رثاء الشهداء^(١):

وقد أقيمت في حفلة تأبين الشهداء التي أقيمت في دمشق سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م وكانت أعظم حفلة عامة أقيمت تذكراً لشهداء عسف السياسة التركية من العرب وذلك خلال الحرب العامة الماضية؛ وقد ألقاها أديب مشهور من أدباء الشام على الجمهور المحتشد لهذه الغاية في ساحة المرجة:

مما يرد ليعرب عليها	ذكرى الشام وأهلها شهداءها
يا سادة أحصيتم فصلتكم	لكم مزايا ما أرى إحصاءها
ما نصب أعواد لكم في جلق	مما يشين، أستم خطباءها؟
رفعوكم عن مستوى الأرض التي	أصبحتم تتوطنون سماءها
ما عذر هذي الأرض في أجداتكم	وقبوركم ألا تكون فضاءها؟
يكفي السعادة والشهادة أنها	خطبت فكنتم أنتم أكفاءها
من حيث ساء مصابكم أنقذتم	فيه البلاد فسرهما ما ساءها

(١) ظ: ديوان الشبيبي / ٨٣، ٨٤.

إن غم ما كابدتموه فطالما
قالوا: تكون فداءهم أوطانهم
عاشت دمشق، فأى أم قبلها
تبكيكم أرض الشام وقد أرى
النيل ضعضع يومكم فسطاطه
يا نكبة دون الجزيرة أثرت
عظمت على النائي فكيف بحاله
ما كان يفعلها الذي استشفى بكم
العصبة القاضي عليكم عسفها
لم يكفها تقطيعها أرحامها
صدق الولاء محضتموه عصبة
عجلت على صفة العلاج بقتلكم
يا أمتي لا تحزني أو فاحزني
إن الضمائر والقلوب إذا دجت
من أبرز شعره السياسي والوطني ثلاث قصائد نال بها شهرة كبيرة، ذاع صيته
فيها بالأفق، وهي على التوالي:

الشرق الناهض^(١):

اتفقت إثر ثورة الدروز على الحكم الفرنسي سنة ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م

نفذ الصبر فهبت فزعا وأبى السيف لها أن تضرعا

(١) ديوان الشبيبي / ٤٤.

من عصور ما أقض المضجعا!
شرف العرق فلبت إذ دعا
بنواديبها وكم ساع سعى
غاصب صال عليها سبعا
نبذت ذاك التقى والورعا
حده المأثور حتى قطعنا
داحض الحججة سمح المدعى
بعد ما استن ذلولاً طيعا
رفأ الساسة منه أتسما
ملأتها من فساد رقعا
قادنا الضعف فصرنا تبعا
غبروا لا يشهدون الجمعا
ضرهم ما فعلوا، أم نفعا
لم تجدهم شيعة بل شيعا
لا تعودى سندا منقطعا

بعث الله لها راقدة
ودعا للذود عن أحسابها
أمة خرساء كضم واش وشى
أزمعت ألا يراها حملاً
واتقت حيناً فلما عقلت
أشرعت عاملها فاتهموا
وادعاها فنفت حجته
جمح الشرق على رائضه
في جهات الأرض خرق كلما
جاذبتنا بردة الملك يد
كلما قام إمام جائر
شتت الشمل جميعاً نضر
لا يبالون إذا ما قلدوا
وإذا ما بحثوا مشكلة
صلة الشرقي بالماضي اسلمي

قتلونا جاهديهم أجمعا
وأعيدي (مالكا) (والنخعا)
هذبوه واصنعي ما صنعا
من سقام، وأقاموا البيعا
موتها في الأرض أحيا البدعا
فأثار الشرق والغرب معا

جاهدي يا أمم الشرق الألى
جددي عهد (علي) غازياً
واذكري ما فعل الغرب بمن
رفعوا الصليبان لا شافية
وأماتوا سنناً واضحة
وثب الريف من الغرب بهم

من (بني الأطرش) حتى
 هجمات فرقت ما جمعا
 مرة أخرى (تنوخ) (تبعا)؟
 ما أضاعوا رب ماض رجعا
 أو بداءة نتحرى النجعا
 سالفات، ورعاها ما رعى
 ذلك المصطاف والمرتقبا
 أخلف النوء المرجى «جبعا»
 ونحا «بصرى» وروى «أذرعاً»
 جزاوها ليسودا تبعا
 دمها سال عليه دفعا
 جل في حسابنا أن تقعا
 جنة - بالنار عادت بلقعا
 عبقري وأفاد المتعا
 فيه أيدي العابثين الخلعا
 - أيها الضيفان - زدتم جسعا
 جاوز الحد فأضحى طبعا
 أنفس الأحرار منها سلعا

وتعالى في العراقيين صدى
 جمع العليج لهم فانبعثت
 (أتنوخ) هذه، أم أنجبت
 ذهبت أيامهم فاسترجعوا
 حضر تفتخر المدن بنا
 نضر الله عهداً (بالحمى)
 وسقى مما يلي «عاملة»
 لا أغب الغيث «صيداء» ولا
 بل «حمصاً» وتوخي «حلباً»
 مدن لو تركت لاتصلت
 دفعوا «الشام» عن الحق الذي
 يالها واقعة في «جلق»
 جنة الأرض - وما أوحشها
 منح اللذات منها بلد
 يا له حياً لقاحاً لعبت
 ما لكم إن أحسن الشرق
 لا تقولوا: طمع، داؤكم
 لا ربحتم من تجار عرضوا

رجال الغد^(١):

مما اتفق له سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠ وذلك في مدينة صيداء وهي من القصائد السائرة، وقد نشرتها لأول مرة مجلة (العرفان) ثم صحف الشام في التاريخ المذكور.

أنتم متعتم بالسؤدد	يا شباب اليوم أشياخ الغد
يا شباباً درسوا فاجتهدوا	لينالوا غاية المجتهد
وعد الله بكم أوطانكم	ولقد آن نجاز الموعد
أنتم جيل جديد خلقوا	لعصور مقبلات جدد
كونوا الوحدة لا تفسخها	نزعات الرأي والمعتقد
أنا بايعت على أن لا أرى	فرقة، هاكم على هذا يدي
عقد العالم شتى	همكم في حل تلك العقد
لتكن آمالكم واضحة	نصب عينيها حياة الأبد
لتعش أفكاركم مبدعة	دابها إيجاد مالم تجد

لا ينال الضيم منكم	غير ميسور منال الفرقد
أو تخلون - وأنتم سادة	لأعاديكم - مكان السيد
الوفا حفظم أو رعيكم	- بعد عهد الله - عهد البلد
لا تمدوها يداً واهية	ليد مفرغة في الزرد
تشبه الأرض التي تحمونها	عبث الأعداء غاب الأسد

(١) ديوان الشبيبي/ ٨١.

فاق داء الروح داء الجسد
هذه العقبي التي لم تحمد
يتأذب حائر لم يهتد
عدد العلم وعلم العدد
لم تفدكم درجات الرصد
ذهب العلم زهاب الزبد
غير أخلاق هي الروض

دبروا الأرواح في أجسادها
إن عقبي العلم من غير
من أتانا بالهدى من حيث
غير مجد - إن جهلتم
وإذا لم ترصدوا أحوالكم
وإذا لم تستقم أخلاقكم
عد عنك الروض لا أرتاد

نشأت في ظل هذا المعهد
غير من عاش فلم يستفد
أهمل التعليم عند الولد
كل طفل بأبيه يقتدي

بوركت ناشئة ميمونه
من جنى من علمه فائدة
ما جرى - ليت شعري -
سيرة الآباء فينا قدوة

إن هذي قطع من كبدي

ليس هذا الشعر ما

باطلُ الحمد ومكذوبُ الثناء^(١):

باطلُ الحمد، ومكذوبُ الثنا
وقبيح صيراه حسنا
أيها المصلح ألداء هنا
كلنا يطلب ذا حتى أنا

فتنة الناس وقينا الفتنا
رب جهم حولاه قمراً
أيها المصلح من أخلاقنا
كلنا يطلب ما ليس له

(١) ديوان الشبيبي/ ١٠٥.

ربما تعجبنا مخضرة
 لم تزل - ويحك يا عصر أفق -
 حكم الناس على الناس بما
 فاستحالت - وأنا من بعضهم -
 إننا نجني على أنفسنا
 بلغ الناس الأمانى حقة
 أخطأ الحق فريق بأئس
 خسرت صفقتكم من معشر
 أرخصوه ولو اعتاضوا به
 يا عبيد المال خير منكم
 إنني ذاك العراقي الذي
 إنني أعتد (نجداً) روضتي

أيها الجيل اكتشف لي حاضراً
 ينهض الشعب فيمشي قدماً
 غير راقى النفس والروح فتى
 حالة النفس التي تسعدها
 ففقر من غناه طمع
 كلما خرب ماضيك بنى
 لو مشى الدهر إليه ما انثنى
 وضع الروح ورقى البدنا
 وترىها كل صعب هينا
 وغني من يرى الفقر غنى

ولست بهذا البحث معنياً بشعره الوطني وحده، فهناك جوانب مشرقة من
 نضاله الوطني في أبعاد متعددة، إلا أن ما أوردناه من شعره هنا، وقد يرد في
 مطاوي البحث، دليل الشعور الوطني الفياض، والحس الاستقلالي لبلاد العرب.

الشبيبي بين الأتراك والانكليز:

كان الشبيبي لدى إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م - ١٣٣٣هـ ضابط احتياط في الجيش العراقي العثماني كما حدثني بذلك، وقد نظم معاناته بقصيدته (حلوان بعد العراق) وكان في بعثة عسكرية على حدود العراق الشرقية^(١).

وقصيدته (طلّاع الحرب العامة) وهو ضابط مثقف، توقع بها مصير الدولة العثمانية، ووصف بعض أنباء الحرب العالمية، وقال في مقدمتها: «نظمت في مدينة بادوريا بالعراق في ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ وفق شباط سنة ١٩١٤م، وكان في بعثة من المجاهدين العراقيين»^(٢).

وكان الشبيبي قد صور مآسي الحرب العالمية بمجموعة من قصائده الرائعة، تناول فيها ما كان بين العثمانيين والانكليز من الصراع، وما نشب بين آل عثمان وإيطاليا من الحرب عام ١٩١٢م، وصور الحالة النفسية التي كابدها العراقيون وهو منها، وقد زجوا في حروب لا طائل معها^(٣).

وقد عاش تعقيدات هذه الحروب، وحينما أنهى خدمة الاحتياط عسكرياً، عاد إلى وضعه الأول، فخلع الملابس العسكرية وعاد إلى العمة شعار الأئمة كما يقول.

أما في جهاد العراقيين للانكليز يوم الشعبية، فقد كان أحد الأعلام، إذ ارتبط، مضافاً لموقعه الديني برئاسة أركان الجيش العثماني بقيادة «أمير الآلاي سليمان عسكري بك» منذ أوائل صفر / ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م حتى انتحار هذا القائد بعد هزيمة الجيش العثماني صباح الأربعاء ٢٩ / جمادي الأولى / ١٣٣٣هـ - ١٤ / نيسان / ١٩١٥م،

(١) محمد رضا الشبيبي/ ديوان الشبيبي/ ١٢/ نشر جمعية الرابط العلمية في النجف الأشرف/ دار النشر والتأليف والترجمة/ القاهرة/ ١٩٤٠م.

(٢) ديوان الشبيبي نفسه / ١٥.

(٣) ديوان الشبيبي نفسه / ٢١ وسواها.

وقد ترك نصف الجيش العثماني بين قتيل وجريح أسير وفقيد كما يقول الشبيبي^(١).

وكان الشبيبي رحمه الله، يصف انتحار هذا القائد - مشاهدة - لحضار مجلسه الأسبوعي صباح كل جمعة، وسمعت ذلك منه، قال: «بينما كنا نسير مع سليمان عسكري بك، وهو في عربته، إذ جاء أحد الضباط وأبلغه أن (الآلي علي بك) سلم للعدو، فارتبك سليمان عسكري، وسحب الأحرام الذي على رجليه (وكان جريحا) وغطى رأسه، ومن تحته سحب المسدس دون أن نعلم، وصوبه على رأسه، وأطلق منه طلقة أصابته برأسه، وأن أنة فمات».

وحينما انتحر قائد الجيش العثماني التحق الشبيبي فوراً بالسيد الحبوبي، فكانا في موقع واحد، حتى النهاية بوفاة السيد الحبوبي.

وحديث الشبيبي مع الانكليز طويل جداً، فقد رافق عقود حياته منذ أيام الجهاد في ١٩١٤م حتى ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨م، وسنتناول الآفاق البعيدة في ظل كفاحه للإنكليز وجوداً واستعماراً ومستشارين، واصطدامه مع رموزهم وعملائهم ووكلائهم فيما يسمى بالعهد الوطني أو الحكم الوطني، وباعتبار الشبيبي من ألمع مؤسسي الدولة العراقية فقد برز نضاله الوطني في هذا المضمار بعدة محاور سناتي عليها، وهنا أنطلق مع القارئ بصفة معاناة الشبيبي مع الأتراك، وهو رجل عربي مسلم، يعاتب الأتراك حيناً، ويدعمهم بالجهاد حيناً آخر، ولكنه يسام الحياة وظل حكم متغطرس جاهل، تحكم في رقاب الناس ودمائهم باسم الإسلام، ولا يمثل العثمانيون الإسلام، وينطلق بتصوير مشاعره وأحاسيسه وعواطفه في هذا المناخ بقصيدته «ثورة على الأتراك» وذلك لدى ثورة النجف على العثمانيين بعد مجزرتي كربلاء الأولى ١٣٣٣هـ والثانية في ١٣٣٤هـ وكرارثة عاكف بك في الحلة في شوال ١٣٣٣هـ، وحملة قتال النجف في رجب ١٣٣٣هـ

(١) ظ: ديوان الشبيبي / ٤٨.

مما ذكره في مقدمة القصيدة، ومما جاء في هذه القصيدة من الأسباب، وأنا أقدم القصيدة والمقدمة كما كتبها الشبيبي نفسه:

ثورة على الأتراك^(١): أو شكوى وعتاب

من أهم حوادث العراق الأخيرة ثورة النجفيين على العثمانيين التي انتهت بطردهم من النجف، وبسقوط هيبتهم وضعف شأنهم في عامة البلاد، لاسيما سقى الفرات، ولم يقتصر تأثيرها من هذا القبيل على القطر العراقي حتى تجاوز إلى غيره من الأقطار، فقد انتشرت في النجف في أخريات جمادي الثاني سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م أو لمرور شهر على واقعة الشعبية رفاع تحض على مناهضة الحكومة العثمانية، فاهتم لها أولياء الأمور في بغداد، وجرّدوا إلى النجف بعثاً مؤلفاً من ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت بك) ففر المشاغبون عند وصوله إلى السواد، وهم عصابة يتألف معظمها من البلط (الفارين من الجندية) وفي الهزيع الأخير من ليلة السبت ٨ / رجب سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م عادوا فنفذوا إلى البلدة من السور، وانضم إليهم طائفة من البلديين، فنشب في الصباح الثاني بينهم وبين الحامية العثمانية قتال شديد دام إلى عصر يوم الاثنين ١٠ / رجب سنة ١٣٣٣هـ، وفيه أذعنّت الحامية وجرّدت من السلاح بعد فقدان جماعة منها فيهم بعض الضباط وطلب القائد والقائمقام (بهيج بك) والمستخدمون الأمان، فأخذهم لهم، وأخرجهم به خازن المشهد وبعض الأماثل والصدور، ثم أضرمت النار في دور الحكومة، ونهبت أمتعة المستخدمين، وتسلم النجفيون منذ ذلك اليوم أزمة الحكم في البلدة، وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية من العراق، فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث التي حدثت بعد ذلك، وأريد بها طرد الأتراك كحادثة كربلاء الأولى في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٥م وكارثة الحلة في منتصف شوال سنة ١٣٣٣هـ وحادثة كربلاء الثانية في ٧ / رجب ١٣٣٤هـ ١٩١٦م

(١) ديوان الشبيبي / ٢٩-٣٦.

هلك فيها خلق كثير، وأشرفت البلدة على الخراب، إلى غير ذلك وما زال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين كاملتين، حتى حاولوا أخيراً ألا يفسحوا بينهم مجالاً للإنكليز، كما اتفق لهم مع الأتراك، فقاموا بثورتهم الخطيرة على الإنكليز التي افتتحت بقتل (الكابتن مارشل) حاكم المدينة صباح الثلاثاء ٦ / جمادى الثانية سنة ١٣٣٥هـ ١٩١٧م فحوصرت النجف خمسة وأربعين يوماً بجيش إنكليزي جرار تبودل إطلاق النار بينه وبين النجفيين أكثر تلك الأيام، إلى أن تم للإنكليز إمساك السواد الأعظم من القوم، وعوقب نحو مائتين منهم بالشنق والنفي والتغريب.

لا الجبن ثار فأطغانا ولا البخل	التائر الحقد بالأقوام
لو كان ما بهم جبناً لما انتقموا	وفي طريق بلوغ النعمة
السيف قرب منا كل قاصية	لا المنطق الفصل من قوم ولا
ماذا نؤمل في إدراك غايتنا	من السياسة؟ كلا إنها حيل
يا من يعز علينا أن نؤنبهم	في حيث لا ينفع التائب
جفوتمونا وقتلتم: نحن ساستكم	منى مطيتها الإخفاق
كم تنبذون لنا ذنباً فنعذرکم	لقد تقطعت الأعذار والعلل
أما صفحنا عن الماضي	أما أدليت لكم أيامنا الأول؟
أما استجيشت كما شئتم	حتى تفايض منها السهل
أما مشت تدرع الدنيا؟ أما	بها المتاية والغيطان والسبل؟
أما أطاعوا؟ أما بروا؟ أما	أما احتفوا بمواليهم؟ أما
بالله لا تجرحوا أكبادنا ودعوا	جراح (برقة) و(البلقان)
مما نخاف عليكم أن حيلتكم	لا تستفاد وأن الرأي مرتجل
قاتلتم غير علامين أنكم	حزب على خطوات الوهم

هذي المواقف ما تنفك ظاهرة
وقائع ما تزال الدهر سائرة
أضعتكم الفرصة العظمى التي
قيضتم لحفاظ الملك طائفة
إلى الدفاع دعوتهم جاهلين به
علمتم حين علمتم جوارحهم
لأي شيء تراهم يؤثرونكم
لا تأملوا خفقانا من قلوبهم
نجواهم إذ أظلتكم عداتكم
قلوبكم من ذهاب الأمر
شاكون خفت بكم للحرب
لم يفعلوا ما أردتم من ثباتهم
خانوا ضمائرهم في بذل

نحن الألى عرض في جنب
قوم من العرب وخز النخل
عند المغانم لا ندعى ويفدحنا
تأبى الحوادث إلا أن نملككم
أين الرهين بأموال لنا ذهب؟
إما شهيد معلى فوق مشنقة
يا من بطل بني عثمان قد
يا رب: من لأناس ما لهم أحد؟

فيه نصال المنايا الزرق
وحظ قوم سوانا الأري
من المغارم ثقل ليس يحتمل!
ولا - ودين التآخي - ما بنا
ومن يقيد بأخوان لنا قتلوا؟
أو موثق بحبال الأسر معتقل
أضحيتهم، إن ظل القوم
يا رب: من لرجال ما بهم

وارحمته لمن غابوا فما حضروا
 تسري الجنود حفاة غير ناعلة
 أما تخور قوى الشبان إن وصلت
 يزجي القوافل بالأقوات حافلة
 دعوا المظالم حاولتم تفسيها
 لم لا يجاب منادينا؟ كأنهم
 قد اعتذرنا وقد صحت مقاتلنا
 من الثغور، ومن ساروا فما
 كأنها بأديم الأرض تنتعل
 أو إنها لتنائي القصد لا
 طاوون ما شربوا منها ولا
 ما للبلاد التي ناءت بها قبل
 ما استنجزوا عن يد حقاً ولا
 أخوكم مكره في الحرب لا

الجهاد ضد الإنكليز ينطلق من النجف:

كانت النجف الأشرف أواخر العصر العثماني تميل تبعاً لقادتها وعلمائها الروحانيين إلى الحياة الكريمة في ظل دستور للبلاد، فقد ملت التسلط الاستبدادي لدى العثمانيين، وسأمت الحكم الدكتاتوري المتخلف في ظل الخلافة المدعاة للسلطين، وكانت في هذا الشعور تعيش حياة مزدوجة المعايير، فهي تعارض الحكومة العثمانية لأنها مستبدة ظالمة، وهي تحاول الإبقاء عليها - لو أصلحت وارعوت - باعتبارها دولة إسلامية إسماء وشعائر لا أكثر ولا أقل، وقد عبر الأستاذ الشبيبي بقصيدته السابقة عن طبيعة الحكم الفردي العثماني في ممارساته الإنسانية في الأحكام والضرائب والجباية وسوق الآلاف إلى الموت في حروب لا ناقة للإسلام فيها ولا جمل، وحمل على تلك الممارسات الأخلاقية مما لم يترك الله به سلطاناً.

ونشأت في أوائل القرن العشرين حركة دستورية في تركيا دعا لها الضباط المتحررون وقادة الفكر، وترعرت في إيران تلك الأفكار الدينية التي دعا إليها العلماء ورجال الدين في تشريع حياة دستورية تقلص من نفوذ «شاه إيران» ويشرف على ذلك مشرعون من البلاد.

وتناهت هذه الأنباء على النجف الأشرف، والنجف على اطلاع عميق بمثل هذه الأحداث، وفي النجف من هو عمادها وعمودها ورائدها من الأعلام، وكانت النجف وهي تتلقى أنباء الدستوريين في الدولتين تحن إلى التحرير حنين اليهم إلى المورد العذب، وكان الوعي الوطني متمثلاً بعلمائها ومراجعها العظام، وشبابها يتداول سراً قراءة الصحف والجلات التي تذيب أنباء التحرير من الاستبداد، وقد شاركت هذه الصحف والبيانات والنشرات في كل من سوريا الكبرى، والقاهرة، والأستانة، وإيران في إذكاء جمرة النضال في سبيل الدستور، إلا أن حركات التحرر تسير بركب بطيء، فهي تذكو حيناً وتخبوا حيناً آخر، نظراً للأحكام الكيفية التي ابتدعها الأتراك في مجابهة هذه الأفكار، وكانت أصوات المنادين بالحرية ترتفع وتتضاءل، ولكنها تتعالى في النجف الأشرف إذ يدعم الوعي الديني ظواهر الوعي الوطني، ويلقي بظلاله الوريقة على العراق باعتباره بلداً مسلماً، وباعتبار دين الدولة هو الإسلام، والإسلام ينادي بتحرير الشعوب.

وكانت عشائر العراق بخاصة وطبقاته بعامة ترى في المرجعية الدينية قدوتها الصالحة في التوجه الوطني، وكان المرجع الأعلى الشيخ محمد كاظم الآخوند يتبنى مشروع الدستور «المشروطة» في مقابل «الاستبداد» التي تعطي للحاكم صلاحيات فردية، وتعنى الأولى بالحكم المتقيد بأنظمة وقوانين دستورية، وتعنى الثانية بالحكم الفردي الملكي غير المقيد بشيء أو المتقيد به، وفي ضوء توجه المرجعية العليا في النجف الأشرف نحو الحياة الدستورية الحرة، فقد التف الشعب العراقي بشبابه المتحمس حول هذا الاتجاه يقول الأستاذ حسن مرزة الأسدي رحمه الله.

«إن هذا الاتجاه الدستوري القويم الذي تبلورت فيه حركات علماء الدين الأمثال في النجف في أوائل القرن العشرين، جاء منسجماً كل الانسجام مع العقيدة المتطورة المتحررة للشريعة الإمامية، والتي قالها: أن الحكم حكمان، حكم الإمام

العاقل (يريد به المعصوم) وإليه يلقي بمقاليد أمور الدنيا والدين، وحكم الحكومة العادلة المنبثقة من الشعب بانتخابات مباشرة حرة لا تشوبها شائبة، ويلقى إليها بمقاليد الدنيا، وتبقى أمور الدين بيد رجال المؤمنين الصالحين»^(١).

ومع ما في هذا الرأي مناقشة، فإن الاتجاه السائد في النجف الأشرف يدعو إليه بكثير من العفوية، فإن الدراسات لم تكن لتفرق بين العلمانية والديمقراطية، ولم يكن رائدها العلمانية على الإطلاق، بل كان العمل في سبيل الحكم الديمقراطي القائم على أساس الشورى والانتخاب في مجلس تشريعي يمثل أطراف الشعب العراقي، هذا ما أرادته النجف الأشرف وشبابه العامل على إنجاز مشروع الدستور والتحرير الإنساني، وكان إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م في تركيا، قد هز مشاعر العرب والأتراك، فتأسست في تركيا «جمعية الاتحاد والترقي» وبالرغم من عدم معرفة أهدافها المخبأة والحقيقية، فقد أثر ذلك تأثيره الفاعل في النجف الأشرف ففتح أول فرع لجمعية الاتحاد والترقي، وكان الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ علي آل مانع، والسيد محمد رضا الصافي، وجملة من السياسيين العراقيين، وبعض رؤساء العشائر الفراتية، وطائفة من الشباب النجفي النائر، كان كل أولئك من بين أعضاء هذه الجمعية، وقد ساعدت الجمعية على بث الوعي الدستوري، حتى إذا اكتشف أمر الأتراك في سياستهم القاضية بتريك اللغة العربية الفصحى، والتبشير بإقامة إمبراطورية عثمانية، أغلق الأعضاء فرع الجمعية بعد أن انسحبوا منها، وهم العرب الأقحاح.

وفي السابع من ربيع الثاني / ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م خلع الأتراك عبد الحميد، وبعد ذلك بحوالي الشهرين، خلع الإيرانيون في جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م محمد علي شاه ملك إيران، واستغلوا مبدأ المناذرة بالمشروطة ذريعة للفتك بمن له وجهة نظر أخرى، وأقدموا على أعمال شنيعة غير مبررة، وأعدموا جملة من العلماء

(١) حسن الأسدي/ ثورة النجف/ ٨٠.

القائلين بالحكم الفردي، وكان أبرز من أعدم في هذه الفورة الدستورية هو الشيخ فضل الله النوري في الميدان قبال داره، وهو من أشهر علماء إيران، وكان مع الدستوريين في مطالبهم، ولكنه لمس الاستتار والفضوى وسفك الدماء، فوقف ضدهم.

ومهما يكن من أمر، فإن خلع الأتراك للسلطان، والإيرانيون للشاه، حدثان هائلان، جعلتا النجف تغلي كالمرجل، فتضاعف الحماس الوطني، وقام العمل الجاد على المناذاة بالدستور للعراق والعرب، والتخفيف ولو جزئياً من سيطرة العثمانيين، وحينما قامت الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤م نشطوا في هذا المنحى، وإذا بهم يفاجأون بدخول الإنكليز البصرة بجيوش غازية في أوائل تشرين الثاني/ ١٩١٤م - ٢٥ / ذي الحجة / ١٣٣٢هـ، ويترلون (الفاو) محتلين البلاد، وإذا بالنجف الأشرف بعلمائها وشبابها ورجالها تنتفض كالصقر لرد الغزاة المستعمرين، وإذا بالسيد محمد سعيد الحبوبي يكسر الصمت، ويرح القلم، ويشهر السيف، ويؤيده المراجع العظام وهو أحدهم، فكان مسرح أحداث المجاهدين في ثلاث جبهات قتالية كبرى، الأولى على مشارف الشعبية والبرجسية من البصرة الفيحاء، والثانية في مقالع عرب الأهواز وعبادان والحمره، والثالثة فيما بين المدائن إلى الكوت.

وكان رؤساء القبائل العربية في الفرات قد انتظموا هم وعشائهم في صفوف المجاهدين بعد أن خف العلماء الأعلام لتلبية نداء الدفاع عن الوطن وحياض الإسلام، ونقلتهم جميعاً إلى جبهات القتال السفن النهرية وهي تمخر عباب الفراء، وكان السيد الحبوبي ورسله ومبعوثوه كلما نزلوا قسبة دعوا أهلها للجهاد، فاستجابوا، وانتظمت معهم عشائر الغراف وسوق الشيوخ وقبائل الناصرية حتى الشطرة والرفاعي، وغادروا سوق الشيوخ في الرابع من ربيع الثاني/ ١٣٣٣هـ بقيادة السيد الحبوبي «معه عشرات الألوف من المجاهدين، ميمماً شطر ميادين

الجهاد، تقلهم مئات السفن النهرية الكبيرة ويقدر عددهم بأكثر من ثلاثين ألف راجل، وعشرة آلاف فارس، وقد التحق معهم حوالي خمسة عشر ألف جندي، فتكون من الطرفين الجناح الأيمن التركي في هذه الحرب.

وفي ٧/ ربيع الثاني / ١٣٣٣هـ وصل النجف الأشرف حوالي الستمائة فارس من مجاهدي الأكراد، قاموا بزيارة الإمام علي[ؑ]، وغادروا في العاشر منه إلى جبهة القتال بطريق الطف: النجف - الشنافية - السماوة - الناصرية - الزبير - الشعبية^(١).

واتجه الحبوبي والمجاهدون شطر الشعبية عن طريق «بحيرة الحمار» - الأهواز - فوصولها في ١٣/ ربيع الأول / ١٣٣٣هـ - ٢٢/ كانون الثاني / ١٩١٥م وضربوا خيامهم في موضع يسمى النخيلة^(٢).

وكان السيد الحبوبي قد أشرف على تنظيم شؤون القتال في جبهتي البصرة والأهواز وتوابعها، فقسم المجاهدون كآلآتي:

- ١- الجناح الأيمن بقيادته ومن معه من العلماء والمجاهدين في الشعبية.
- ٢- القلب، بقيادة شيخ الشريعة فتح الله الأصفهاني، والسيد مهدي الحيدري، والسيد أبي القاسم الكاشاني وعامة المجاهدين في القورنة.
- ٣- الجناح الأيسر، بقيادة الشيخ مهدي الخالصي الكبير، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والشيخ عبد الرضا راضي، والسيد عيسى كمال الدين، ومعهم آلاف المجاهدين في الأهواز.

وقد قام القلب والجناحان بواجبهم النضالي «فهموا في ٤/ نيسان / ١٩١٥م على المواقع الإنكليزية المحصنة، ووقعت معارك أبلى بها المجاهدون بلاء حسناً»^(١).

(١) حسن الأسدي/ ثورة النجف/ ٩١/ الطبعة الثانية/ بغداد/ ١٩٧٠م.

(٢) فريق آل مزهر الفرعوني/ ثورة العشرين/ ٧٤.

وندع الشيخ الشبيبي أبرز المجاهدين من الشباب النجفي الثائر - وهو شاهد من العصر - يتحدث عما جرى في المعارك في قصيدته «يوم الشعبية» ومقدمتها، قال:
يوم الشعبية^(٢):

أشهر أيام الحرب العراقية - إن لم يكن أعظمها عند العراقيين - يوم الشعبية، ذلك اليوم الذي استنفر إليه أهل البلاد، من حاضر وباد، قلت قبيلة أو مدينة لم يشهده منها رجل أو رجال، أضف على ذلك عظيم محنة القوم فيه، قد رابطوا عدة شهور في (النخيلة) صابرين على أشياء لم يصبر عليها من جدد المكان، وشظف العيش، إلى أن منوا بذلك الخذلان العظيم، ومجمله انه في أوائل صفر سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م، ورد بغداد «أمير الآلاي سليمان عسكري بك» متقلداً قيادة الجيش العثماني العامة في العراق، صارفاً «لجاويد باشا» ومعه فريق من الجنود التركية المدربة انحدر بها إلى «القرنة» وواقع الإنجليز هناك في منتصف صفر المذكور، فجرح جراحاً بليغة، أعيد بسببها على بغداد، وأقام في المستشفى شهرين لم ينجح فيه علاج، لكنه أبى مع هذا أن يستقيل، وثابر على تدبير الأمور الحربية، متوقفاً البرء التام. ولما طال ذلك عليه قاد الجيش بذاته على مهاجمة الإنجليز في وادي الشعبية دوين البصرة، استخفافاً بعدوه، واعتداداً برأيه، وثقة منه نفسه ومن جنده بالفوز والانتصار، فأعدت له محفة خاصة حمل عليها من بغداد إلى الناصرية، بعد أن تقدم بأن يحتشد فيها الجيش، وكان مؤلفاً من ثلاث كتائب (الأليات) واحدة تركية؛ واثنان ملفقتان من العرب العراقيين والأكراد، منها عدة رشاشات ونحو أربعين مدفع سهل، قام هذا الجيش في منتصف جمادي الأولى سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م من الناصرية على المعسكر العام في (النخيلة) مشياً على الأقدام، وبعد يومين أو ثلاثة أيام من وصولهم زحفوا بإيعاز من القائد العام هم

(١) عبدالله الفياض/ الثورة العراقية الكبرى/ ١٣٢/ بغداد/ ١٩٣٦.

(٢) ظ: محمد رضا الشبيبي/ ديوان الشبيبي/ ٤٩٤٧.

والعرب المجاهدون على (الشعبية) وهاجموا الإنكليز وهم فيها أمنع من عقاب الجو صباح الاثنين ٢٧ من الشهر المذكور هجوماً شديداً دام يومين من غير أن يعود عليهم بطائل، إلى أن ارتدوا فاشلين، فاعتنم الإنكليز من القوم انقطاع الطرق والمواصلات بهم، وغلبه الإعياء والتعب عليهم، وسوء اثر العطش والجوع فيهم، فاتبعوهم وناجزوهم لليلتين بقيتا من جمادي الأولى سنة ١٣٣٣هـ أو صباح الأربعاء ٢٩ منه مناجزة شديدة هزم في آخرها العثمانيون وتركوا نصف ذلك الجيش بين قتيل وجريح وأسير وفقيد، وانتحر «سليمان عسكري بك» قائداهم العام.

منتور هلك بين النصر فالوادي	نبت الربا حمر أشلاء وأوردا
في البيد توزيع أعضاء بأجساد	دون «الشعبية» أجساد موزعة
علائقاً بين أسياف وأغماد	وفي «النخيلة» أرماس موثقة
فيها أصيبوا وشجوا شج أوتاد	للترك ثمة أوتاد، وأخبية
خالي الحقائب من ماء، ومن زاد	جيش أقام ثلاثاً في خنادقها
والجند غرثان ملتاح الحشا صادي	ماء الفراتين موفور وحبهما
متروكة نهب أيدي الرائح الغادي	الغلة الغضة المجنى التي نهبت
لا في بطون صعاليك وأجناد	أقواتنا في بطون الذر أكثرها
ولم تكن ذات إبراق وإرعاد	صم مدافعنا ما أمطرت حمماً
بعده وكثرناهم بأعداد	تنازل القوم فاتوا ذرع فيلقنا
حمر الجماليق من ترك وأكراد	عشرون ألف عراقي ومثلهم
واستبدلوا الوحش من أهل وأولاد	مجمرون تجافوا عن ديارهم
في الرمل كلفة إغذاذ وإسئاد	مكابدون على حالي حفاً ووجي
تنزو غوارب أمواج وأزباد	بحر من الرمل قامت عن تغطمطه

يهاجمون - وهم رجالة كشف
 فل العدو جناحيهم وقلبيهم
 إن الدماء التي حلت نحورهم
 تلك الجماهير لا تلوي على أحد
 الصادرون وقد أكدت مطامعهم
 والراصدون من «الفيحاء»^(١) ثروتها
 وقائد حملوه في محفته
 أفاذك بالعدى جيش مدبره
 جرى «سليمان» في استعجال
 قاد الألوف فأرداها وأتبعها
 مخاطر عاش أعماراً لأن له
 وكثرة أعجبتة من كتائبه
 كأنه والمقادير التي سبقت
 ظن الألوف من الأعراب تعضده
 إن القصور التي جلت عمارتها
 سقياً لواديك لا من ماء غاية

في البر - جملة أسوار وأسداد
 من قبل تجهيز أعوان وأمداد
 قد أوهمتنا عقوداً فوق أجياد
 مخفة بعد أثقال وأزواد
 من بعد ما أوردوها شر إيراد
 باتت مناياهم منهم بمرصاد
 على «الشعبية» من زوراء «بغداد»
 معطل الجسم ملقى فوق أعواد؟
 مجرى كفاة بأمر الحرب فواد
 في الحال نفس أبي غير منقاد
 في إثر كل نجاته يوم ميلاد
 فراح للنصر فيها أي مرتاد
 على مقرر ميقات وميعاد
 فكان ما ظنه فتاً بأعضاء
 أمست صوامع رهبان وعباد
 كأن أجزاءها علت بفرصاد

ثورة النجف على الإنكليز كما يصورها الشبيبي:

لعل الشبيبي أصدق من صور أحداث النجف الأشرف في الثورة على الإنكليز،
 وعنده أن ثورة النجف الأشرف ضد الإحتلال البريطاني كانت على مرحلتين:

(١) كان هدف حملة سليمان عسكري الإستيلاء على مدينة البصرة.

الأولى: وقد عبر عنها بالثورة على الإنكليز في النجف^(١).

والثانية: عبر عنها بالثورة العظمى في النجف الأشرف^(٢).

وقد تحدث الشيخ الشبيبي عن المرحلة الأولى بإيجاز، ولكنه غطى أغلب أحداثها الرئيسية بأمانة، باستثناء تحامله - ولو جزئياً - على السيد محمد كاظم اليزدي لأنه يرى الحكمة والأناة بديلاً عن العنف الثوري قبل أوانه، ويرى - أي اليزدي - أن القرارات المرتجلة التي أدت إلى قيام الحاج نجم البقال وجماعته في مهاجمة السراي، وقتل الكابتن مارشال فاشلة في خططها الآنية والمستقبلية، وأن أمثال هذه الأحداث سوف تمكن الإنكليز بالنهاية إلى أحكام السيطرة على العراق، وقد حصل ما توقعه، فأفاق من وقف ضده، ولو بعد حين، وهذا ما حدث عقب الثورة على الإنكليز في ١٨ / آذار / ١٩١٨م وهي المرحلة اللاحقة لما عبر عنه بالثورة العظمى حينما تحدث بكل جزئياتها وتفصيلاتها حدثاً بعد حدث، بما يعتبر وثيقة تاريخية مهمة، وهو بهذا يرى الثورة الأولى هي العظمى في ١٩ / ١١ / ١٩١٧م والثورة الثانية ما قام به الحاج نجم البقال في آذار ١٩١٨م، وأحاول أن أعي ملخصاً معمقاً لما قدمه الشبيبي في الموضوع بذكر أبرز معالمها معلقاً ومعقياً ومصححاً مع مراعاة الاختصار.

يقول الشبيبي: «ثار أهل النجف على الإنكليز ضحى يوم الثلاثاء ٤ / صفر / ١٣٣٦هـ - ١٩ / تشرين الثاني / ١٩١٧م، وتجمهروا أمام السراي (خان عطية أبي كلل) نساءً ورجالاً، وتظاهروا بالسلاح، ونهبوا السراي، وأهانوا المستخدمين، وأطلقوا المساجين، وتفصيل ذلك: أن الكابتن (بلفور) عامل الإنكليز على الشامية والنجف، ورد من أبي صخير، وصادف وروده وروود الميجر (باولي) عامل

(١) ظ: محمد رضا الشبيبي / ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني ١٩١٧ - ١٩١٨م / مذكراته / تحقيق ولده أسعد / الثقافة الجديدة /

عدد ٢ / تموز / ١٩٦٩م.

(٢) المرجع نفسه / ٢٩٣.

كربلاء^(١)، فأرسلا في طلب زعماء المتغلبين إلى السراي، وحضر منهم: عطية أبو كل، وكاظم صبي^(٢)، فطالבוها وبقية الشيوخ برد منهوبات ركب (عترّة) الذين خصهم الإنكليز بالامتياز في النجف... فتنصل المذكوران من ذلك، وتقدما بالأعدار، وبلفور يرعد ويزبد، ويتوعد ويتهدد، وقد زبرهما وسبهما وأهانهما بضروب من الإهانات حتى اضطرهما على مقابلته بالنكر، وانتهره وسباه وهدداه، ثم نادى عطية أبو كلل بالحرس بالأهلي - الشبانة - أن يتفرقوا فتفرقوا، وأشار إلى المسلحين غيرهم أن يهجموا على دار الحكومة، ففعلوا وتجمهر الفقراء والجياح على السراي وهم يسبون الإنكليز ويلعنونهم ويظهرون التشفي منهم، فاسقط حينئذ بيد الإنكليز، وعجل حاكم كربلاء بالفرار إليها على سيارته، وأخذ (بلفور) بحماية المسلحين إلى دار حميد خان وكيل الإنكليز في النجف، وهو خائف نادم على ما فرط منه^(٣).

وكان هجوم عطية أبي كلل بالمسلحين سبباً في تسرب الثورة إلى أبي صخير وطرد القائم مقام الإنكليزي منها، ومهاجمة الحرس من قبل جماعة من النجفيين، ونهبوا السراي عتاداً وخيراً وأثاثاً.

وهنا يشير الشبيبي إلى تحرك (بني حسن) وهجومهم بالسلاح على الإنكليز في الكوفة، إلا أنهم اكتفوا بأخذ ألف ليرة من قائم مقام الجسر (الكوفة) وتركوه، وقد أفلت الأسواق، وثار أهل (الأبيض) و (الحزم) على مستخدمي الإنكليز ونهبوهم، وثار آخرون^(٤).

(١) كانت الشامية محافظة، والنجف والكوفة تابعان لها، والعامل يعني به المحافظ.

(٢) يقصد الشبيبي بالمتغلبين زعماء المجلات الأربع في النجف: العمارة/ الحويش/ المشرق/ البراق، ويريد بذلك من له الغلبة في القرار والزعامة.

(٣) محمد رضا الشبيبي/ ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني/ الثقافة الجديدة/ ٢٨٦.

(٤) محمد رضا الشبيبي/ ثورة النجف ضد الاستعمار البريطاني/ الثقافة الجديدة/ ٢٨٧، بتصريف واختصار.

وأعلن الإنكليز في النجف الأحد ١٠/٢/١٣٣٦هـ - ٢٥/١١/١٩١٧م، قطع غلات الفرات عن بغداد، وتوفير الحبوب للنجف من الحلة والهندية، وقطعت الطرق، واضطرب حبل الأمن بعد ثورة النجف، وكثر النهب والسلب والقتل من قبل الأعراب، لكن أسعار الغلات والحبوب والتمور تراخت في الجملة، وهبطت الأسعار.

ووصل السير برسي كوكس الحاكم البريطاني العام إلى النجف عصر الثلاثاء ١٩/٢/١٣٣٦م هـ - ٤/١٢/١٩١٧م، ومعه جماعة من ضباط الإنكليز، وشرعوا بالقبض على من له زعامة وكلمة نافذة في قومه في النجف، وكذلك صنعوا في بغداد والكاظمية وكربلاء، وكان قدوم كوكس لإرهاب النجف والقبض على زعمائها، وفي الكوفة أرسل على الزعماء للنجفيين للحضور، فاعتذر بعضهم واعتذر آخرون، فلم يقبض عليهم ليقبض على الجميع... وأخذ على الزعماء أن يحضروا من الغد إليه فلم يحضروا، وكان أشد القوم امتناعاً عطية أبو كلل، وعاد كوكس إلى بغداد خائباً دون أن تنطلي حيلته على النجفيين^(١).

ولدى فشل كوكس في مهنته في النجف، جهز نحوها جيشاً في أوائل ربيع الأول سنة ١٣٣٦هـ، ووصلت طلائع الجيش إلى الكفل في خمسمائة إنكليزي.. وارتادوا مواقع لعسكرهم قريباً من (كري سعدة) ووردت الكوفة عصر الأربعاء ١٩/٣/١٣٣٦هـ - ٢/١/١٩١٨م مقدمة جيش إنكليزي، وشوهدت خيامهم بظاهر السهلة، ثم عسكروا في شريعة التين من شرائع فرات الكوفة.

وتذمر الرأي العام في النجف من الإنكليز، وانقلبوا ضدهم بعد أن أكثروا المراسلة لزعماء النجف بالحضور إلى بغداد من قبل كوكس.. فلم يحضروا، ووصلت (مس بل) معاونة الحاكم السياسي الإنكليزي إلى النجف، واجتمعت

(١) ظ: مذكرات الشبيبي / ٢٨٨-٢٨٩، بتصريف واختصار.

بالنجفيين من دون طائل في الوقت الذي وصلت فيه المؤن والذخائر الحربية إلى الكوفة والكفل تباعاً^(١).

وسرت الثورة من النجف إلى السماوة، وانهزم مستخدموا الإنكليز فيها، واضطر الإنكليز إلى إرسال جنود وبواخر حربية لإصلاح الحال في السماوة وما فوقها إلى الشنافية^(٢).

وتطور الحال بين النجفيين والإنكليز إلى القتال، فقد ظهرت ضحى السبت ١٢/١/١٩١٨ سرية بثلاثمائة من فرسان الإنكليز في ظاهر النجف، فنفر النجفيون، وأطلقوا الرصاص بشدة، وانسحبوا وتظاهروا يوم الاثنين غرة ربيع الثاني ١٣٢٦هـ، وأطلقوا النيران على الإنكليز، وظهرت في سماء النجف طائرة لم يتردد النجفيون بإصلاحها ناراً حامية، واجتمع رؤساء المحلات بالإنكليز وأظهروا الطاعة باستثناء عطية أبي كلل، فقد أصر على المقاطعة، وغادر النجف، وخرج كريم سعد راضي في ١٧/٢/١٩١٨م، وبث الإنكليز سراياهم وخيلهم مما يلي النجف وكربلاء إلى الشنافية، وشرعوا بحفر الخنادق وكان غرضهم حصار النجف^(٣).

فتنادى الجناح العسكري لجمعية النهضة الإسلامية، وتعاهدوا على تبييت الإنكليز بقيادة البطل الباسل الحاج نجم البقال، فجر الثلاثاء ٦/ جمادى الآخرة/ ١٣٢٦هـ - ١٩/٣/١٩١٨م، في حدود الأربعين مسلحاً عن طريق مقبرة النجف، وتسلسل منهم حوالي العشرة أو أكثر قليلاً متزيين بزى الشرطة الأهلية، وقتلوا الحارس، وخرج الكابتن (مارشال) حاكم النجف وأطلق النار من مسدسه، فخرج صادق الأديب من بين المهاجمين، وتكاثروا على مارشال فقتل، وتكاثر الإنكليز يطلقون النار على المهاجمين، وعاد النجفيون أدراجهم... وهجم الثوار على دار الحكمة

(١) مذكرات الشبيبي / ٢٩١، ٢٩٠، بتصرف.

(٢) المرجع نفسه / ٢٩١.

(٣) المرجع نفسه / ٢٩٢.

مع جمهور الناس، فنهبوا ما فيها من الأثاث، وأشعلوها، وقلعوا الأبواب.. ولم يحن ضحى الثلاثاء إلا و(بلفور) والجنود والشرطة محصورون في الخان، والنجفيون قد احتلوا المدابغ والمسالخ جنوب الخان، وتعاطوا مع من في الخان إطلاق النار طوال ذلك النهار محاولين بذلك الإستيلاء على مقر الحكومة، ولما خيم الظلام هداً الفريقان، وعاد النجفيون إلى المدينة ولم يطلقوا لا هم ولا من في الخان طلقة واحدة^(١).

وقد نهد بهذه الحادثة أهل محلة المشرق، وتألفت لجان من الأعيان والعلماء للتوسط بين الفريقين، فما نجحوا في ذلك، وقد كان المتظاهرون ضد الإنكليز ضحى هذا اليوم سعد الحاج راضي وأولاده، والحاج نجم البقال ومن تبعهم، وشايعهم فتیان بقیة الأحياء، واتفق مع الثوار الصبي والرماحي (كاظم صبي/ عباس الرماحي) وغيرهما على مدافعة الإنكليز وغيرهما من أهل محلة العمارة والحويش، فخرجوا ليلة الخميس خارج السور، واشتد إطلاق النار بينهم وبين الأنكليز، وفي صباح الخميس ٢١/٣/١٩١٨م عقد المرجع الديني السيد محمد كاظم اليزدي محفلاً كبيراً يضم العلماء والأعيان، وفاوضوا أركان الثورة فطلبوا الأمان الحقيقي من قبل الإنكليز، فلم يضمن لهم أحد ذلك^(٢).

وكانت هذه الثورة مما وحد أمر النجفيين عند الإنكليز، وقد لاقت النجف الأمرين في ذلك وفرض عليها الحصار ثلاثة وأربعين يوماً وهلك كثير من الناس جوعاً، وشح الماء حتى شربوا ماء الآبار. وتشكلت محكمة عسكرية برئاسة (لجمن) لحاكمة أعضاء الحركة، وكان قد قبض عليهم أعوان الإنكليز، وسلموا إلى مهدي السيد سلمان.

(١) مذكرات الشبيبي / ٢٩٤، بتصرف.

(٢) مذكرات الشبيبي / ٢٩٧، بتصرف.

«وكان الحاج نجم البقال قد قبض عليه فأهانته مهدي السيد سلمان، وقرعه أي تقريع وسبه.. وكذلك الحال مع الآخرين»^(١).

وندع الشبيبي يتحدث عن المحكمة، يقول:

«وفي مساء اليوم الثامن عشر من شعبان دعي إلى جسر الكوفة مشايخ النجف الموادعون والمختارون، ودعا الإنكليز قسماً من مشايخ عشائر الشامية، فحضر الجميع في جسر الكوفة، وطلب الإنكليز أن يشهد أولئك شق «المجرمين» يوم ١٩/ شعبان/ قبل طلوع الشمس/ عام ١٣٣٦هـ - ٣٠/ مارس/ ١٩١٨م.

وقد استحضر الإنكليز في جسر الكوفة باخرة مصفحة ومسلحة رست تجاه الخان الذي اعتقل فيه «المجرمون» ووجهوا مدافعهم إلى جهتي الشرق والغرب، وتحضر الجند في معاقلهم، ولزموا متاريسهم، ومنع الحرس اجتماع الناس، فكان السكون في جسر الكوفة مخيفاً لم يعهد مثيل له في العراق...

وحقاً إن من يشهد ذلك المشهد الحربي يعتقد أن الإنكليز صمموا على تخريب الجسر لا سيما وأن إعداد تلك العدة كان على حين غرة، ولم يفهم الناس ماذا أراد الإنكليز من تلك الأعمال الفجائية.

«وما غربت الشمس يوم الأربعاء حتى نصبت المشنقة في وسط الخان «خان علي نصر الله في الكوفة» وما طلعت الشمس يوم الخميس (٣٠/٥/١٩١٨م - ١٩/٨/١٣٣٦هـ) حتى تم شق القوم بأسرع ما يمكن من الوقت، فخرج من الخان جماعة المدعويين مصفرة وجوههم ممقعة ألوانهم، وبعد برهة قصيرة أمر الإنكليز بنقل جثث المصلوبين إلى حي تدفن، فحملوها في عربة من عربات (الترامواي) ونقلوها إلى الكوفة حيث غسلت وكفنت، وفي ليلة الجمعة نقلت إلى مقبرة النجف، فدفنت

(١) مذكرات الشبيبي/ ٢١٩.

الجثث، وقد تعهد ذلك جماعة من الشباب، ولم يحضر غسلهم ودفنهم واحد من النجفيين»^(١).

وكانت المحكمة العرفية العسكرية الإنكليزية قد حكمت بإعدام ثلاث عشر نجفياً، خفف عن أحدهم إلى السجن المؤبد، وهو عزيز الأعسم، وفر الآخر إلى إيران بعد اختفائه في الآبار، وهو الأستاذ عباس الخليلي، وقد نفذ حكم الإعدام بأحد عشر نجفياً هما:

- ١- كاظم صبي.
- ٢- عباس علي الرماحي.
- ٣- علوان علي الرماحي.
- ٤- كريم الحاج سعد الحاج راضي.
- ٥- أحمد الحاج سعد الحاج راضي.
- ٦- محسن الحاج سعد الحاج راضي.
- ٧- «عبداهم سعيد» وهو ابن الحاج سعد الحاج راضي كما سمعت من الأسرة، وأمه نوبية.

- ٨- محسن أبو غنيم (أحد قتلة الكابتن مارشال).
 - ٩- الحاج نجم البقال (زعيم هذه الحادثة).
 - ١٠- مجيد مهدي دعيبل (المشهور أنه هو الذي باشر قتل مارشال)^(٢).
 - ١١- جودي بن عيسى ناجي.
- وحكمت بإبعاد (١٠٣) كأسرى حرب على الهند، وغرامة خمسين ألف روبية من أهالي النجف، وتسليم ألف بندقية للإنكليز.

(١) مذكرات الشبيبي/ ٣٣٨.

(٢) يرى الشبيبي أن مجيداً هنا قد أطلق النار على مارشال مرتين/ المذكرات/ ٣٩.

الشبيبي وثورة العشرين:

لم تحقق ثورة النجف على الإنكليز أي نصر عسكري او سياسي، ولكنها حققت نصراً مستقبلياً، فهي باندلاعها قد وضعت الأسس العملية لمناهضة الإنكليز، وفي ضوء عمل المخلصين تفجرت ثورة العشرين، إذ بدأت عدة محاور وطنية في العراق تعمل على الإطاحة بالإنكليز في محاولة لتشكيل حكم وطني.

وكان أبرز هذه المحاور كآلاتي مع الاختصار العمق:

١- محور النجف الأشرف و كربلاء المقدسة بقيادة الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين، وشيخ الشريعة الأصفهاني، وكان الشيرازي يرأسل سراً حول الثورة وهو بعد في سامراء ثم انتقل إلى كربلاء باقتراح من الثوار لنثلا يحصل التعارض بين رأيه ورأي المرجع الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي الذي لم يقتنع بمنازلة الإنكليز لعدم توافر التسلح الكافي لمناهضتهم من جهة، ولنثلا تكون لهم الغلبة فتذهب الدماء هدرأ، وهكذا كان، ولنثلا تحكم البلاد من قبلهم بشكل مباشر أو غير مباشر في حالة إخفاق الثورة، وهكذا كان.

وقد بدأ العمل في النجف بصور ظاهرة ينهض به علماء الدين وفي طليعتهم آل الجزائري، وآل الشيخ راضي، وآل الجواهري، وآل بحر العلوم، وآل كمال الدين، وآل الشبيبي يدعمهم الشباب والمثقف، والأعيان والتجار وضخيات النجف الأخرى، وكان شيخ الشريعة هو الرمز الذي تلتف حوله هذه الشرائح العلمية والثقافية والمتحفزة في العمل السياسي للثورة.

٢- محور الفرات الأوسط، وقد عمل رؤساء القبائل العربية في الفرات إلى جنب العلماء الأعلام وشباب التحرر الوطني في النجف الأشرف، وفي طليعتهم، آل فتلة، وآل الياسر، وألبو طبيخ، والظوالم، وآل فرعون، والعوابد، وآل إبراهيم، وآل

مكوطر، وآل شبل، وآل عيسى، والغزالات، وبنو حسن، والحواتم، وسواهم ممن لا نستطيع حصرهم.

وبعض زعماء هذه القبائل هم الذين عقدوا اجتماعهم في النجف برئاسة الشيخ عبد الكريم الجزائري في النصف من شعبان عام ١٣٣٨هـ لتدارس الوضع العراقي، وقرروا تشكيل وفد إلى كربلاء لإطلاع الشيخ الشيرازي على مجريات الأمور، وكان قد وصل إليها توأماً من سامراء.

وكان هذا الوفد منفذاً لما تمخض عنه اجتماع وفد النجف الأشرف مع محور بغداد والكاظمية في ٣/شعبان/ ١٣٨٨هـ.

وبلغني من شيوخنا أن أول اجتماع كان لاتخاذ القرار بقيادة الثورة ضد الإنكليز، كان في دار السيد كاظم العوادي في النجف الأشرف، وهو الذي ترأسه الجزائري.

٣- محور بغداد والكاظمية المقدسة، وكان بقيادة الشيخ مهدي الخالصي الكبير والسيد مهدي الحيدري من العلماء، وحضره من السياسيين الحاج محمد جعفر أبو التمن، والسيد محمد الصدر، ويوسف السويدي وعلي البازركان، وطبقة قليلة من الشباب الناهض.

وقد عبر عن تعاطف هذا المحور مع الثورة الوطني الغيور الحاج محمد جعفر أبو التمن لدى زيارة وفد النجف الأشرف لبغداد واجتماعه بهم، فقال: «إن رجال بغداد مستعدون للعمل، وأنهم لا يخرجون عن رأي العلماء والرؤساء»^(١).

هذه المحاور الثلاثة كان الأساس في التمهيد لثورة العشرين مع الألوف من الفراتيين، إلا أن بغداد لم تف بالتزاماتها حينما قامت الثورة، باستثناء القادة الثلاث: الخالصي والحيدري وأبي التمن، مما أوقع النجفيين في حرج، إلا أن صدق

(١) حسن الأسدي/ ثورة العشرين/ ٢٨٢.

الزعامة الدينية والوطنية في النجف الأشرف وكربلاء، وتصميم الفراتيين وعشائريهم، فجر ثورة العشرين في ٣٠/٦/١٩٢٠م.

وكانت رغبة النجف الأشرف بكل طبقاتها ومن وراءهم من العشائر الفراتية ملحة بإنشاء حكومة عربية في العراق، وعملوا لذلك سراً وعلناً.

وأدرك الإنكليز ذلك فحاولوا إحباطه، ووجهوا أسئلة للعراقيين عامة، وللنجفيين خاصة في ٣٠/ تشرين الثاني/ ١٩١٨م.

وهذه الأسئلة قد يعبر عنها بـ«مبادئ ولسن» وفيما غمز ولمز في أمرين مهمين: الأول، فصل الموصل عن العراق وإحاقه بتركيا.

الثاني: جعل العراق تحت الوصاية الإنكليزية بأمر عربي يختاره الإنكليز.

والأمر المهم غير المعلن هو أن يحكم الإنكليز العراق.

وكانت أسئلة ولو بصيغة إستفتاء على النحو الآتي^(١):

١- هل ترغبون بتأليف حكومة عربية مستقلة تحت الوصاية الإنكليزية، ليمتد نفوذها من أعالي الموصل إلى خليج البصرة؟؟

٢- هل ترغبون أن يرأس هذه الحكومة أمير عربي؟

٣- من هو الأمير الذي تختارونه لرئاسة هذه الحكومة.

وما أن وقف العراقيون على هذه الأسئلة حتى بادر قائد الثورة العراقية الشيخ محمد تقي الشيرازي بإصدار فتواه بعدم جواز انتخاب غير المسلم، أو تحكيم غير المسلم بشؤون المسلمين.

«وكان لهذه الفتوى أثرها العظيم في تغيير مجرى السياسة البريطانية في العراق، حيث أحدثت رجفة في نفوس الحكام الإنكليز»^(٢).

(١) ذكر الأسئلة الشيخ جعفر محبوبية، وهو شاهد من العصر/ ماضي النجف وحاضرها/ ٢٥٨.

(٢) حسن الأسدي/ ثورة العشرين/ ٣٦٥.

وأخذ الهوس الكولونيال ولسن، فقصده النجف الأشرف بنفسه ليقف على آراء القوم من العلماء والمثقفين ورؤساء العشائر.

وكان ولسن متعجباً يريد أن يثبت للقيادة الإنكليزية أنه رجل الموقف، رغم ما أصيب به من نكسات، فأحضر معه الميجر (نوربري) حاكم الشامية، ودعا العلماء والزعماء للحضور في سراي الحكومة، وألقى عليهم خطاباً أوضح فيه وجهة نظر البريطانيين في الاسئلة المذكورة، وطلب باسم الحكومة البريطانية الإجابة عنها، وكانت لغته لغة تهديد ووعيد.

وقد أحيط السراي بالشباب النجفي الثائر لثلاث تغلب آراء عملاء الإنكليز - وقد أحضروهم - على آراء العلماء وبالمتحررين، والناس على رؤسهم الطير، فنهض الشيخ محمد رضا الشبيبي فخطب ولسن باسم العراق:

«إن الشعب العراقي يرتأي أن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق، وإن العراقيين يرون من حقهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً، وليس فينا من يفكر في اختيار الحاكم الأجنبي»^(١).

وحينها انتهى خطاب الشبيبي ثارت تائرة ولسن بما يصوره مؤرخ النجف الشيخ جعفر محبوبة - وهو حاضر - بقوله:

«فغاض هذا الخطاب البليغ الحاكم فقاطع كلام الشبيبي، وضرب بيده على المنضدة التي كانت عنده، وكلما حاول أن يعرف رأي بقية أركان الجمعية الحاضرة لم يتمكن، إذ لم يعترضوا على رأي الشبيبي، وأنى لهم ذلك وهو الرأي الصائب»^(٢).

وكان ما قاله الشبيبي رد النجفيين، بل الفراتيين ووطنيين العراق على مبادئ ولسن وأسئلة الإنكليز.

(١) جعفر محبوبة/ ماضي النجف وحاضرها/ ٢٥٨.

(٢) المرجع نفسه/ ٢٥٩.

يقول الأستاذ جعفر الخليلي رحمه الله في هذا الصدد:

«ولأول مرة يدوي اسم الشبيبي محمد رضا في الأوساط دويماً تهتز له الأندية والأوساط النجفية، وكان ذلك يوم جمع الحاكم الإنكليزي الكبير الرؤساء في النجف والعشائر في سراي النجف لاستمالتهم وأخذ موافقتهم على صورة الحاكم الذي يريده الإنكليز للعراق قبل قيام الثورة الكبرى... فهاجت النجف وماجت، واقتدت بها العشائر، وكان وراء هذا الهياج الشيخ عبد الكريم الجزائري والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والشيخ جواد الشبيبي، ومن رؤساء القبائل كان السيد علوان الياسري والحاج عبد الواحد الحاج سكر وغيرهما ممن أيدوا الشبيبي، واعتبروه ممثلاً عن النجف والعراق أجمع، وهذا ما حال بين السلطة المحتلة وبين اتخاذ الإجراءات في توقيف الشيخ محمد رضا الشبيبي أو نفيه»^(١).

وكان مستوى التخطيط متلبوراً بين العلماء والوطنيين وزعماء الفرات لتهيئة الثورة، إذ بلغ الإستياء من الإدارة البريطانية بفي العراق أقصاه، وأخذ بالتصاعد نظراً لغطرسة الإنكليز، فكانت الاجتماعات والاحتجاجات تأخذ طابعاً استراتيجياً ومركزياً في التخطيط للإطاحة بالإنكليز، وكان الخيار المفضل قيام حكومة عربية وطنية مستقلة يرأسها أحد أنجال شريف مكة الحسين بن علي، وتشكل لهذا الخيار مكتب القيادة السياسية للثورة من قبل السياسيين الوطنيين على النحو الآتي:

- ١- الشيخ محمد رضا الشبيبي.. رئيساً.
- ٢- السيد سعيد كمال الدين.. عضواً.
- ٣- السيد حسين كمال الدين.. عضواً.
- ٤- الشيخ باقر الشبيبي.. عضواً.
- ٥- السيد محمد رضا الصافي... عضواً.

(١) جعفر الخليلي/ هكذا عرفتهم ١٢٠٢/ دار التعارف/ بغداد.

٦- السيد سعد صالح جريو... عضواً.

٧- السيد محمد عبدالحسين... عضواً.

٨- السيد عبدالرزاق عدوة... عضواً.

وأول اجتماع عقد لهذه القيادة كان «ليلة الأحد ١٧/ربيع الأول/ ١٣٣٧هـ في دار شيخ الشريعة... ووقعوا فيه على عريضة زعماء الشامية مع زيادة في المطالب، وتوجيه لها»^(١).

وهذه العريضة تتحدث عن رغبة قيادة الثورة العراقية في اختيار أحد أنجال الشريف ملكاً على العراق، وقررت القيادة إيفاد الشيخ الشبيبي إلى الحجاز لمفاتيحة الشريف حسين بالأمر، ومعه ثلاث وثائق، وهي عبارة عن عرائض ومضابط موقعة من ثلاث جهات:

الأولى: موقعة من علماء النجف الأشرف وكربراء المقدسة والكاظمية المشرفة.

والثانية: موقعة من قبل رؤساء العشائر والفرات، وهم القوة العسكرية الضاربة.

والثالثة: موقعة من قبل الشباب العربي المسلم في النجف الأشرف، وهم في مكتبهم السياسي برئاسة الشيخ محمد رضا الشبيبي نفسه.

وكانت الدعوة إلى الملكية هذه في قبال الدعوة على الجمهورية التي رشح لها «المستر فليبي» طالب النقيب رئيساً، وأرسل سالم الخيون شيخ بني أسد للنجف الأشرف مروجاً للكفرة فرفضت^(٢).

وأما الهدف من حمل رسالة الشبيبي ووثائقها إلى الحجاز، فهو شعور الثوار قبل أن يدخلوا المعركة، أن الإنكليز بأزاء تزيف حقائق الأشياء، وقد جمعوا حولهم الإنتهازيين والموالين لهم والعملاء، ممن اشترت ضمائرهم، وقد شاهدوا شباب

(١) علي الخافاني/ شعراء الغري ٨/٩/ المكتبة الحيدرية ومطبعتها/ النجف الاشرف/ ١٩٥٦م.

(٢) ظ: تفصيل الدعوة إلى الجمهورية في هذا التاريخ من قبل الإنكليز في: ثورة النجف/ ٣٧٩ وما بعدها للأستاذ حسن الأسدي.

النصف الثائرين منفيين إلى الهند، والمحكمة العسكرية أعدمّت أحد عشر ثائراً، ورأوا بأمر أعينهم ما حل في البلاد والعباد من حصار النجف، ومصادرة قوت الشعب في القصابات الأخرى، وشاهدوا الإنكليز وانتفاخهم في الوقت الذي قال فيه (الجنرال مود) فاتح بغداد: «جننا محررين لا فاتحين» وقد أثبتت الوقائع أنهم جاؤوا مستعمرين لا محررين، وقد جعلوا إدارة العراق بأيديهم وحدها، وتصدقوا بفتات بعض المناصب الثانوية على عملائهم في الديار العراقية. وبهذا كان تفسير الشبيبي ذا هدف رفيع، وهو اسماع أصوات الثائرين في النجف والفرات وكربلاء والكاظمية إلى مسامع الهيئات الدولية والمنظمات العالمية والشعب العربي والعالم الإسلامي.

وكان هذا هدفاً مركزياً، ولو ظفروا بأحد الأنجال لكان مكسباً على كل حال!! ويرى الأستاذ جعفر الخليلي أن الشبيبي قد وضع تقريراً مفصلاً عن أوضاع العراق بنفسه، وعن مهمته «بالمداولة مع الميرزا محمد رضا الشيرازي» - نجل قائد الثورة - والشيخ عبد الكريم الجزائري... وعلى هذا يكون الشبيبي أول من حدد رغبة الاستقلال، وأول من صور أمانيه في قيام هذه الدولة... وأحسب أن نصوص التقرير محفوظ في سجلات البروتوكولات في مؤتمر الصلح، أو لدى وزارة الاستعمار البريطاني^(١).

وارتأى الشبيبي أن يعضد مهمته بالسفر إلى الناصرية أولاً، لحمل رؤساء المنطقة وأعيان الغراف ووجوه الناس هناك على توقيع ما يحمل من وثائق، ومن ثم يقصد شطر الحجاز، وهكذا كان، «ولقي من الشيخ علي الشرقي - وكان قد سبقه على المنتفك - ومن السيد عبد المهدي المنتفكي في أبي هاون، ومن الشيخ

(١) جعفر الخليلي/ هكذا عرفتهم ١٢٤/٢.

محمود الخليل - وقد أوفد من قبل الميرزا الشيرازي - مساعدة جد ثمينة في إنجاز مشروعه، ومن هناك دخل البادية بصحبة الشيخ إبراهيم إطميش^(١).
ووصل الشبيبي الحجاز وقصد مكة، وطلب مقابلة الشريف حسي، وندع الكلام هنا للشبيبي متحدثاً عن ذلك، قال:

«زارني بعض مرافقي الملك، فرحبوا بي من قبل الديوان، وأبلغوني أن الملك يرغب باستقبالي غداً صباحاً، فذهبت في الوقت المعين إلى القصر حيث استقبلني الملك حسين في ديوانه، وهو يقع في الدور الثالث من قصره وفي الجناح الغربي منه، وبعد تبادل التهاني والسلام، بسطت الحالة بتفاصيلها كما هي في القطر العراقي، وأطلعتة على تأزم الوضع، وقرب اندلاع نيران الثورة بالعراق، إذا لم تلب بريطانيا مطالب الأمة العراقية، إلى غير ذلك مما يطول شرحه، ثم دفعت إليه ما معي من الوثائق والرسائل الموجهة من العراق إلى الحكومة العربية الهاشمية وإلى ملك العرب نفسه، فاهتم بها اهتماماً بالغاً، وقطع وعداً بأنه سيرسل هذه الوثائق والكتب إلى ممثله في مؤتمر الصلح المنعقد في (فرساي) من بلاد فرنسا، ليستند الأمير فيصل إلى هذه الوثائق المهمة في المطالبة بحقوق العراقيين، وأن ملك العرب يؤيدهم كل التأييد في هذا الشأن وقد علمت بعد ذلك بأن الملك حسين بر بوعده، وأرسل بالوثائق إلى ولده، وكان للأمير فيصل موقفه المعروف في المطالبة باستقلال البلاد العربية، وتكوين دولة موحدة فيها، ولما وصلت إلى الشام واجتمعت بالملك فيصل ورجال دولته في سوريا، تأكد لي بأن هذه المغامرة من العراق إلى جزيرة العرب فالشام: لم تكن عبثاً، إذ بعث الملك حسين

(١) المرجع نفسه والصفحة.

معي أجوبة إلى طبقات مختلفة من العراقيين، وهم الذين كاتبوه وانتدبوني إليه...»^(١).

وقامت ثورة العشرين في ٣٠ / حزيران / ١٩٢٠م والشيخ الشبيبي برفقة الملك فيصل الأول في سوريا «فاستطاع أن يبعث ببعض الأخيار، وبصورة العلم العربي للعراق ضمن رسالة حملها رسوله إلى شيخ الشريعة... فعهدت صورة العلم العربي إلى السيد ضياء زيني، وكان يعمل خياطاً في (قيصرية علي آغا)^(٢) في النجف، فعمل منها علماً كبيراً نصب لأول مرة فوق سراي كربلاء، وكانت كربلاء قد اعتبرت متصرفيه، وقد تعين لها السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً من قبل مجلس الثورة، وكان هذا العلم الذي بعث بصورته الشيخ الشبيبي أول علم عراقي رفعه العراق»^(٣).

أما أحداث ثورة العشرين فإنني أجمله بما كتبه قبل أربعين عاماً في آب / ١٩٦٨م وها أنا ذا أشير إليها في آب / ٢٠٠٧م، قلت آنذاك:

«فوجئ النجف الأشرف ببلاغ حكومة الاحتلال البريطاني ببغداد في ٣ / مارس / ١٩٢٠م - ١٨ / شعبان / ١٣٣٨هـ القاضي بجعل العراق تحت ظل الانتداب البريطاني، فتارت ثائرة العلماء والزعماء ورؤساء القبائل الفراتية، وسافروا مجتمعين إلى كربلاء - للمرة الثانية - عرضوا الأمر على زعيم الثورة الإمام الشيرازي، فتأمل الشيخ الشيرازي طويلاً في إصدار أمر الثورة، حتى إذا كثرت حوادث العنف والإكراه من قبل الإنكليز فلي النجف والعتبات المقدسة، قام النجفيون بطبع كثير من المنشورات المستنكرة لاستفزاز البريطانيين، وزعت في العراق بعامه، فتلاحم الشعور الوطني، وانفجرت العواطف، وتأزم الموقف، وتهيأت بعض

(١) ظ: حديث خاص للشبيبي، مع علي الخاقاني / شعراء الفري ١٠٩/٩.

(٢) تقع هذه القيصرية بين باب قبلة الصحن الحيدري ومسجد الهندي، وهي من معالم النجف التي أزيلت في عهد الطاغية.

(٣) جعفر الخليلي / هكذا عرفتهم ١٢٥/٢.

الأسباب الموجبة للكفاح المسلح، وكان ولده الشيخ محمد رضا يحرضه على الثورة، فأصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه بذلك، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«مطالبة الحقوق واجبة على العرفيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم.»

محمد تقي الحائري الشيرازي

كربلاء المقدسة

وقد فسرت الفتوى بأنها إفتاء بالجهاد أو الدفاع عن بيضة الإسلام، فأعلنت الثورة في النجف الأشرف والفرات يوم الاحد ١٥/شوال/ ١٣٣٨هـ - ٣٠/ حزيران/ ١٩٢٠م، وتجمع النجفيون بطبقاتهم الروحية والثقافة والشعبية في الصحن الحيدري الشريف لحظة وصول أنباء الطلبات الأولى من قبل رئيس الضوالم الشيخ شعلان أبو الجون لدى فك اعتقاله من سجن الشامية بأمر الحاكم الإنكليزي فيها (الميجر نور بري) وخف النجفيون لحمل السلام وهاجموا الإنكليز عشوائياً، فجلا الإنكليز من النجف فوراً، فخرجوا إلى الكوفة.

ووصلت أنباء النجف إلى الفرات فثار بعشائره ابتداءً من الرميثة ومروراً بالسماوة، فالديوانية، فالشامية، فالمشخاب، فالحيرة، فأبي صخير فالنجف الأشرف، فالكوفة، فكربلاء فالهندية وسواها.

وهاجم الثوار مراكز قوى الإنكليز، وخرّبوا السكة الحديد فيما بين الناصرية في عدة أماكن حتى الديوانية، وقد استخدمها الإنكليز لنقل آلاتهم الحربية معداتهم العسكرية، ونقل الجنود الهنود والإنكليز، وكثرت المعارك الدامية فوراً بين الإنكليز والعراقيين في مختلف البقاع والقصبات، وقتل جمهور عظيم من

الجيش الإنكليزي يقدر بعدة آلاف، وسقطوا فيما بين الرميثة والعارضيات والمشخاب والحلة والكوفة والرابخية والنجف وكربلاء وطويريج وبقية ميادين القتال، وجيء بمئات الأسرى الإنكليز إلى النجف، واحتجزوا في (الشيلاان) وأوصى شيخ الشريعة بمعاملتهم معاملة إنسانية، وهكذا كان، كل ذلك مما دعا الإنكليز إلى التراجع بعد أن تكبدوا الخسائر الفادحة في الأرواح والمعدات، وتراجعوا عن حكم العراق المباشر، وأتوا عليه عن طريق العملاء في العراق من الأعراب والجفاة والبداءة وسيل «الأفندية» في الدليم وبغداد.

وليس غريباً أن تسفر نتائج هذه الثورة في هوة سحيقة من التآمر على آمال الشعب، فعناصرها بعد لم تتكامل، وأسبابها لم تتضح في المقدمة والنتيجة، بل جاءت شرارة في الأفق البعيد أذكت جذوتها الشعور بالاضطهاد الإنساني دون التفكير بالمكاسب المستقبلية، وهذا ما جر الكوارث على قادتها وقواعدها الشعبية، فقد مزقوا شر ممزق، استبيح حرمتهم، ويتمت أبناؤهم، ورملت نساؤهم، وهدمت منازلهم، وتكبد بعد هذا النجفيون بخاصة والفراتيون عامة الخسائر الفادحة في أعز ما يملكون^(١).

وفي النجف الأشرف تجد المآسي ضاربة بأطنابها في ربوعها فبعد نهاية الثورة حاصرها الإنكليز حصاراً همجياً، فلم تستمر بأحداثها سوى ستة أشهر، وفرضوا على النجفيين غرامة قدرها ثلاث آلاف بندقية، وأخرى مالية قدرها إحدى وثمانون ألف ليرة ذهباً، مع اعتقال الزعماء القادة.

(١) المؤلف/ فلسطين في الشعر النجفي المعاصر / ٤٥، ٤٤ بتصرف واختصار، دار العلم للملايين/ بيروت/ ١٩٦٨م.

«أما العلماء فقد ظل الإنكليز يتحينون بهم الفرص إلى أن تمكنوا من اعتقالهم على أيدي العراقيين أنفسهم بعد تشكيل الحكومة الوطنية!! وسفروهم خارج العراق وعندما حرموا الانتخابات المزورة»^(١).

وأنها لوصمة عار في جبين صاحب الفخامة عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء المنتحر - أن يدخل بنفسه ومعه جلاوزته على الإمام الشيخ مهدي الخالسي الكبير في مدرسته العلمية في الكاظمية المقدسة، ويهينه ويقوم شخصياً بتسفيره خارج العراق في ٢٦/٦/١٩٢٢م، وذلك لتحريمه الاشتراك في المجلس التأسيسي المشبوه، وتحریم إعانة الإنكليز في التعيين بمناصب الدولة.

وقد احتج العلماء والمراجع على هذا الإجراء فهاجر منهم ثلاثمائة عالم ورجل دين برفقة المرجعين الشيخ محمد حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني، لقد هز العراق هذا الحدث هزاً عنيفاً، وخرجت المظاهرات وكثرت الاحتجاجات، وعاد بعد حين النائيني والأصفهاني على النجف بعد مناشدة عامة وخاصة، وأبى الشيخ الخالسي العودة حتى وفاته في ١٠/٤/١٩٢٥م ودفن بالقرب من الإمام الثامن علي بن موسى بالرضا في الحضرة الرضوية المطهرة.

وهكذا رجع الثوار بخفي حنين، والأنكى من ذلك أن يسلط الإنكليز عملاءهم في الأمس حكاماً على العراق، وأن يعود أبناء الثوار خدماً وجنوداً عند هؤلاء الأذئاب، ومن جهة أخرى فقد عمدت الحكومات المتعاقبة في العراق حتى اليوم إلى تشويه الحقائق التاريخية للثورة، وأن يقحموا في رجالها من ليس منهم، وأن تغفل معطيائها الوطنية والقومية، وأن يتصدر الحكم من تجسسوا للإنكليز على حسابها.

(١) حسن مرزعة الأسدي/ ثورة النجف/ ٢٨٤.

الشبيبي في العهد الملكي:

في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٢١م وصل الملك فيصل إلى ميناء البصرة، وسافر إلى بغداد فوصلها ٢٩ / حزيران / ١٩٢١م، وكانت الوثائق التي حملها الشبيبي إلى والده الحسين قد عرضت على فيصل فقدمها إلى مؤتمر الصلح في فرساي فأقرها، وكانت رغبة المستر ونستون تشرغل وزير المسعمرات البريطانية قد أقر في مؤتمر القاهرة آنذاك - بالتشاور مع المندوب السامي في العراق: السير برسي كوكس، وجعفر باشا العسكري وزير الدفاع العراقي - ترشيح فيصل ملكاً على العراق لدى انعقاد مؤتمر القاهرة في ١٢ / آذار / ١٩٢١م.

يقول الأستاذ هولس ريتشر في كتابه (مقاييس الكفاءة للإستقلال): «وبعد مفاوضات كثيرة عرض العرش العراقي على الأمير فيصل الذي كان قد أخرج حديثاً من الدولة العربية التي شكلها في سوريا، ومع أن انتخاب الأمير فيصل يعود قسم منه من دون شك إلى النفوذ البريطاني، فكانت ثمة أدلة كافية، حتى قبل أن تعرف رغبة بريطانيا، على أن سموه كان المنتخب عن طيب خاطر من العناصر المهمة في العراق»^(١).

ومهما يكن من أمر، فقد توج الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق في ٢٣ / آب / ١٩٢١م - ١٨ / ذي الحجة / ١٣٣٩هـ، وعاد الشبيبي إلى العراق بعد سفرته إلى الحجاز والشام، وأقام في بغداد في «الزوية» من الكرادة الشرقية حتى وفاته، وعاصر العهد الملكي في ملوكه الثلاثة: فيصل الأول / غازي الأول / فيصل الثاني، واعتبر من مؤسسي الدولة.

(١) عبدالرزاق الحسيني / تاريخ الوزارات العراقية ٢٨٨ / الطبعة السابعة.

وكان الشبيبي من رجال الحكم في العهد الملكي، ولكنه في صفوف المعارضة الوطنية البناءة، بل يعد من أبرز أركان المعارضة.

شارك في الحكم مشاركة فاعلة في الوزارة ومجلس النواب ومجلس الأعيان، وقد استوزر لأول مرة في ٢ / آب / ١٩٢٤م وأسندت إليه وزارة المعارف بوزارة الأستاذ ياسين الهاشمي الأولى، واستقال منها احتجاجاً على إتفاقية النفط التي أبرمتها الوزارة بضغط بريطاني، ونص الاستقالة: صاحب الفخامة رئيس الوزراء الموقر. بعد التحية: حيث لا يسعني الموافقة على إتفاقية شركة النفط التي هضمت بموجبها حقوق العراق، فإني أتقدم إلى فخامتكم بانسحابي من المجلس الوقر.

هذا ولفخامتكم مزيد الاحترام

١٠/شعبان/ ١٣٤٣هـ - ٥ / مارس / ١٩٢٥م محمد رضا الشبيبي^(١)

وانتخب الشبيبي نائباً عن بغداد في الدورة الانتخابية الأولى: ١٦ / تموز / ١٩٢٥م. وفي مجلس النواب خالف الشبيبي وسبعة عشر نائباً معارضاً لدى التصويت على المعاهدة الإنكليزية العراقية القاضية بارتباط العراق بالإنداب البريطاني لمدة خمس وعشرين سنة ورفض ذلك^(٢).

وانتخب الشبيبي عضواً في البرلمان عن بغداد للمرة الثانية في: ١٩ / آيار / ١٩٢٨م، ورفض معاهدة الحلف بين العراق وبريطانيا التي أبرمها نوري السعيد في وزارته الأولى ٣ / حزيران / ١٩٣٠م، وقال عنها: «إني أرفض مشروع المعاهدة بملحقاته، لأنه مشروع تحمل العراق بموجبه كثيراً من المغارم والتبعات، ولم يكسب في مقابل ذلك حقاً جدياً من الحقوق، والقضية بالنسبة لبريطانيا معكوسة إذ

(١) ظ: عبد الرزاق الحسيني/ تاريخ الوزارات العراقية ٢٨٨/١ طبع وزارة الاعلام.

(٢) ظ: المرجع نفسه ٢ / ٤٥ / ٣ / ٥٣.

حصلت على أهم الحقوق والامتيازات، وتخلصت من كافة التبعات والمسؤوليات»^(١).

ولم يرشح الشبيبي لمجلس النواب للدورة الثالثة تضامناً مع المعارضة الوطنية التي قاطعت الانتخابات في: تشرين الأول/ ١٩٣١م.

وانتخب الشبيبي نائباً عن بغداد وفي الدورة الرابعة للمجلس ٨ / آذار / ١٩٣٣م، وانتخب أيضاً في الدورة الخامسة نائباً عن بغداد وفي ٢٩ / ١١ / ١٩٣٤، وفيها عقب على خطاب العرش للملك غازي ٣ / كانون الثاني / ١٩٣٤، منتقداً سياسة علي جودت الأيوبي في وزارته الأولى قائلاً:

«يوجد في البلاد العزيزة تدمر واستياء عظيم ناشئ عن أسباب وعوامل كثيرة، من حملتها هذا الإهمال والتساهل في تطبيق أحكام القوانين، وهناك قانون آخر نافذ في البلاد مع الأسف وهو قانون «الصنعة والمحسوبية» وتوجد أيضاً أشياء كثيرة من هذا القبيل، وكنت أود أن أرى في خطاب العرش أشياء تدل على سير التهذيب من قبل الحكومة وملاحظتها هذه القضية»^(٢).

واستوزر الشبيبي للمرة الثانية في ١٧ / آذار / ١٩٣٥م للمعارف في وزارة ياسين الهاشمي، واستقال منها في ١٥ / أيلول / ١٩٣٥م احتجاجاً على تدخل رئيس الوزراء في شؤون الوزارة، وتعيين أخيه الفريق طه الهاشمي رئيس أركان الجيش مديراً للمعارف العام بعد استقالة الأستاذ فهمي المدرس منها، مضافاً إلى تأثير رئيس الوزراء بالدعاية المضللة ضد الوزارة بقيادة الشيخ الشبيبي، فلما تلقى الوزراء كتاب الاستقالة قصد الشبيبي في داره، وحاول إقناعه بالعدول عن الاستقالة، أو قبول منصب وزارة العدل بدلاً عنها، فأبى الشبيبي ذلك، وكان رئيس الوزراء

(١) المرجع السابق.

(٢) محاضرات مجلس النواب العراقي / لسنة ١٩٣٤م، ص ٩.

يجل وطنية الشبيبي، فرفع له رئيس الوزراء الكتاب الآتي الدال على مدى احترامه الشبيبي:

مولاي الأستاذ محمد رضا الشبيبي المحترم

يؤسفني أن تذهب محاولاتك العديدة للتوفيق بين الآراء بدون نتيجة، ويؤلني جداً أن أرى استمرار التآزر معكم في تحمل أعباء الظروف الحاضرة متعسراً لقراركم الأخير.

إنني أشعر بالمتاعب التي تحملتموها أثناء اضطلاعكم بالمسؤولية في الوزارة، وإذا ما تقدمت إليكم بالإعراب عن الشكر والتقدير، فإنني بلا شك أعبر في الوقت نفسه عما يحمله زملاؤكم الوزراء الباقون من شعور الامتنان على ما لا قوة منكم مدة اشتراككم معهم من التأييد، وكل ما أرجوه أن تكون رابطة الأخوة والمبدأ التي ربطتنا في جهادنا باقية على رواقها، وألتمس أن تقبلوا أحرامي وإجلالي.

بغداد: ١٦ / أيلول / ١٩٣٥م المخلص ياسين الهاشمي^(١)

وفي الدورات: ٥ و٦ و٧ و٨ و٩ للمجلس النيابي لم يرشح الشبيبي لأنه انتخب عضواً في مجلس الأعيان ثم انتخب رئيساً له لأول مرة وآخر مرة في ٢١ / شباط / ١٩٣٧م، وفي الدورة العاشرة للمجلس النيابي انتخب الشبيبي نائباً عن لواء العمارة في ٩ / تشرين الاول / ١٩٤٣م، وفي ١٧ / آب / ١٩٣٧م عين الشبيبي وزيراً للمعارف في وزارة جميل المدفعي الرابع، وفيها ارتفع مستوى التعليم في العراق، وقد خصص الشبيبي العديد من «البعثات» إلى الخارج في مختلف التخصصات بما يعتبر خطوة كبيرة إلى الأمام، وفتح بكل إصرار جملة من المدارس الابتدائية والثانوية والصناعية والزراعية.

(١) ظ: عبدالرزاق الحسيني / تأريخ الوزارات العراقية ٤ / ١٤١ - ١٤٢.

وفي وزارة جميل المدفعي الخامسة استوزر الشبيبي للمرة الرابعة للمعارف في ٢/ حزيران/ ١٩٤١م، فأصلح من مناهج المعارف وإداراتها، وانتخب الشبيبي رئيساً لمجلس النواب في ١/ كانون الأول/ ١٩٤٣م واستمر في ذلك رئيساً يمثل المعارضة الوطنية حتى ٢/ كانون الأول/ ١٩٤٤م فرشحت وزارة حمدي الباجي سلمان البراك، ورشحت المعارض الشبيبي، ففاز الشبيبي بالانتخاب رئيساً للمجلس بالأكثرية الساحقة، واستاء رئيس الوزراء الباجي من هذه النتيجة، وحرص بعض النواب على رفع طلب للوصي عبد الإله في عدم المصادقة على محضر مجلس النواب، ولم يشأ الوصي أن يفعل ذلك، فأنقذ الشبيبي الموقف بالإستقالة في ١٤/١٢/ ١٩٤٤م^(١).

وكان سبب استياء حمدي الباجي من الشبيبي يعود لأمرين مهمين:
الأول: كان الشبيبي باعتباره رئيساً لمجلس الأعيان قد استنكر بيان شديد اللهجة قرار الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي في أمريكا الداعي إلى هجرة الصهاينة إلى فلسطين بدون قيد أو شرط، تمهيداً لإقامة دولة يهودية في فلسطين، كان ذلك في ٢٩/ شباط/ ١٩٤٤م^(٢).

ثانياً: انتقد الشبيبي رئاسته لمجلس النواب وزارة الباجي بعنف، واعتبر الحكومة تعمل في سياسة البلاد بوحى الإنكليز مباشرة، وهي «سلطة لا تتمتع بمزايا الاستقلال، وعليه أصبحنا نرى شؤون البلاد تدار وفق هذه السياسة، كما أقصى كثير ممن يظن أنهم خصوم هذه السياسة، وأبعدوا عن الميدان، وظهرت وجوه جديدة ما كان لها أن تظهر لو لا تلك الظروف»^(٣).

(١) ظ: المرج نفسه ٢٧٧/٦ بتصريف واختصار.

(٢) ظ: عبدالرزاق الحسيني/ تاريخ الوزارات العراقية ٢٧٧/٦.

(٣) محاضرات مجلس النواب العراقي/ لسنة ١٩٤٥-١٩٤٦/ ص ١٣٥.

وانتقد الشبيبي الحكومة العراقية لإنشائها ما يريد المندوب البريطاني إنشاءه، ولإذعانها للمشيئة البريطانية، وقال في مقال له:

«... وافق المسؤولون العراقيون على إنشاء المكاتب السرية للإنكليز في طول البلاد وعرضها... إذ أصبح في كل لواء من الألوية العراقية فضلاً عن الأقضية مكتب يديره ضابط سياسي (إنكليزي) يسمى ضابط الارتباط إلى جانب مكتب متصرف اللواء...»^(١).

وفي ١٧/ آذار/ ١٩٤٧م، انتخب الشبيبي نائباً في الدورة الحادية عشر للمجلس، وحضر مؤتمر البلاط في ٢٨/ كانون الأول مستنكراً معاهدة بورتسموث.

وحينما منعت حكومة صالح جبر المظاهرات ضد المعاهد، حضر رؤساء الأحزاب والمعارضة اجتماعاً وطنياً في دار السيد جعفر حمندي كان فيه الشبيبي، فأجمعوا على ضرورة المظاهرات، فبدأت المظاهرات في اليوم التالي، وقمعت بالرصاص في الوثية ٢٧/ كانون الثاني/ ١٩٤٨م، وعندها استقال الشبيبي وعشرون نائباً من عضوية المجلس احتجاجاً وشجباً^(٢).

وسقطت معاهدة بورتسموث في ٢٨/ كانون الثاني/ ١٩٤٨م، وشكل السيد محمد الصدر في ٢٩ منه رئاسة الوزارة، وكانت وزارة المعارف للمرة الخامسة.

وفي الدورة الانتخابية الثانية عشرة انتخب الشبيبي نائباً عن بغداد ٢١/ حزيران/ ١٩٤٨م، واستقال من عضوية المجلس احتجاجاً على إخماد أصوات معارضة، وتحيز الدولة للإنتهازيين، واستقال معه ستة وثلاثون نائباً، وعبر منهم اثنان وعشرون نائباً في طليعتهم الشبيبي عن مقاطعة الانتخابات

(١) محمد رضا بالشبيبي/ مقال/ جريدة الزمان البغدادية في ٢٢/ حزيران/ ١٩٤٦.

(٢) ظ: عبدالرزاق الحسيني/ تاريخ الوزارات العراقية ٣٦٨/٧ وما بعدها.

التكميلية، باعتبارها خطوة ثانية للإستقالة، إذ لافائدة في الانتخابات والسياسة على حالها^(١).

وانتخب نائباً في الدورة الثالثة عشرة ١٩٥٣م / ٢٤ / ١، وهي آخر دورة رشح فيها للنياحة، إذ مني بالإحباط من سياسة الحكومات المتعاقبة، وشكل «حزب الجبهة الشعبية المتحدة»، وقد أشغل رئاسته وعضوية مجلس الأعيان.

وفي هذه الدورة هاجم سياسة الدولة وإدارة الحكم وأوقف المسؤولين على واقع البلاد، وذلك في الجلسة المنعقدة في ١٩٥٣م / ٢ / ٢ لاستماع إلى منهاج وزارة السيد جميل المدفعي، وهو يتلوها في المجلس، قال الشبيبي:

«إن البلاد مغلوب على أمرها، وإن الأجنبي الغاشم يتدخل في شؤونها، وإنه يلتزم فريقاً معيناً من الناس، ويفرضهم فرضاً على البلاد، ويناقش كل طبقة واعية لها آراؤها المحترمة وتفكيرها السياسي الناضج منذ زمان طويل إلى اليوم، وانشطرت البلاد.. إلى شطرين وإلى جيلين:

نحن الجيل القديم الذي ينهج هذا النهج في السياسة، اتجاهنا جيل واع حديث، وآراؤه ومناهجه تختلف كل الاختلاف عن تفكيرنا نحن أبناء الجيل القديم الذي أشغلنا المناصب مراراً كثيرة، والذين أبينا أن نفسح المجال لغيرنا، وأن نعد أناساً لإشغال هذه المناصب إذا انتهى أمرنا»^(٢).

ولدى مهاجمة الشرطة للسجناء في «نقرة السلطان» في ١٩٥٣م / ٦ / ١٨ «ندبت المعارضة ركنها البارز الشيخ محمد رضا الشبيبي، فقابل الملك وأعرب عن الأثر الذي تركه عمل الحكومة في النفوس»^(٣).

(١) ظ: جريدة صوت الأهالي البغدادية الصادر ١٠/مارس/ ١٩٥٠م.

(٢) محاضر مجلس النواب العراقي / لسنة ١٩٥٣ / ص ١٠.

(٣) عبدالرزاق الحسيني / تاريخ الوزارات العراقية ٤٢/٩.

وحيثما شكل أرشد العمري وزارته الثانية في ٢٩/٤/١٩٥٤م، قابلت الأحزاب السياسية والوطنية تشكيلها بالسخط العام، وكان أشد الأحزاب معارضة لتأليفها حزب الاستقلال برئاسة الشيخ محمد مهدي كبة، والحزب الوطني الديمقراطي برئاسة كامل الجادرجي، وحزب الجبهة الشعبية المتحدة برئاسة الشيخ محمد رضا الشبيبي^(١).

ولدى تشكيل نوري السعيد وزارته الثانية عشر في ٣/ آب/ ١٩٥٤م شعرت «الجبهة الشعبية المتحدة» بأن بعض الأعضاء يحاول التخلص من العمل الحزبي الملتزم، ويفضل السير بركاب السلطة، فعطل الشبيبي الجبهة بالبيان الآتي: «عقدت الهيئة الإدارية للجبهة سلسلة اجتماعات برئاسة معالي الشيخ محمد رضا الشبيبي، وبعد المداولة في الوضع السياسي قررت:

١- وقف أعمال الحزب، وتعطيل نشاطه إلى إشعار آخر.

٢- يكون الاشتراك في الانتخابات على مسؤولية العضو الشخصية^(٢).

ولدى الاعتداء الثلاثي على مصر في ٢٩/ تشرين الأول/ ١٩٥٦م، استنكر الشبيبي مع فريق كبير من قادة الأحزاب والمعارضة سياسة نوري السعيد ضد مصر، واعتبرت المعارضة حلف بغداد أخطر أسباب الفرقة بين العرب، وذلك في مذكرة شديدة اللهجة قدمت للملك في ٣٠/ تشرين الثاني/ ١٩٥٦م^(٣).

ولدى اعتقال حكومة نوري السعيد كوكبة لامعة من أساتذة الجامعة والسياسيين وقادة الفكر لاحتجاجهم على سياسة الحكومة إزاء العدوان، استنكر

(١) ظ: صوت الأهالي / لواء الاستقلال/ جريدة الزمان/ الأعداد الصادرة ٤/مارس/ ١٩٥٤.

(٢) ظ: عبدالرزاق الحسيني/ تاريخ الوزارات العراقية ١٤/٩.

(٣) ظ: عبدالرزاق الحسيني/ تاريخ الوزارات العراقية ١٠/٢٦/١٣٠.

رؤساء الوزارات السابقون، والأعيان، والنواب، وممثلو الأحزاب سياسة الدولة، وكان الشبيبي في طليعتهم في مذكرة رفعت للملك في ٢ / كانون الأول / ١٩٥٦م^(١).

وحينما تفاقمت الأوضاع في العراق سياسياً واقتصادياً وإدارياً، أطلق الشبيبي صرخته المدوية في آخر جلسات مجلس الأعيان عام ١٩٥٨م قائلاً: «لم يبق للعراق إلا الله فالإله نشكو» فضجت محافل العراق أجمع بهذه الصراحة، وأعلن مقاطعته للمجلس والحكومة نهائياً كما هو مشهور، ولدى تدهور المناخ السياسي والمد الفوضوي في العراق عام ١٩٥٩م، حدثني الشبيبي نفسه: أن نوري السعيد قصده ليلاً إلى داره بعد قراره الحاسم في مقاطعة الحكومة، فقال له نوري السعيد: أنت قاطع الحكومة في كل شيء، ولكن سيأتي اليوم الذي تقول فيه رحم الله نوري السعيد!! فإذا جاء ذلك اليوم فقل ذلك، قال الشبيبي: واليوم أقول رحم الله نوري السعيد!!

وهكذا قضى الشبيبي حقبة سياسية ملتهبة في الاحداث الكبيرة امتدت أربعين عاماً، تحمل فيها أعباء أداء الرسالة الوطنية، وكابد كثيراً من الآلام والأزمات النفسية، حتى نهاية العهد الملكي بثورة ١٤ / تموز / ١٩٥٨م.

الشبيبي في العهد الجمهوري:

استولى الجيش العراقي بعد الرابع عشر من تموز على مقاليد الحكم في العراق برئاسة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم وفريق من الضباط الكبار والصغار، وأشرك بعض ممثلي الأحزاب السياسية وبعض اليساريين في الوزارة التي شكلها، وما لبث القوميون أن استقالوا من مقاعدهم الوزارية وهم ستة بعد ستة شهور،

(١) ظ: نص المذكرة في تاريخ الوزارات العراقية ١٠ / ١٣٦ . ١٣٧.

لاعتقادهم بانحراف الثورة عن أهدافها، وكان هناك مجلس للسيادة مكون من رئيس وعضوين، وهم:

١- الفريق الركن محمد نجيب الربيعي... رئيساً.

٢- الشيخ محمد مهدي كبة.. عضواً.

٣- السيد مصلح النقشبندي... عضواً.

وكان هذا الإسناد نابعاً من محاولة تمثيل أطراف الشعب العراقي عرباً وأكراداً وسنة وشيعة، فالربيعي سني معتدل، وكبة شيعي قومي في أقصى درجات الاعتدال، والنقشبندي سني كردي يتعامل على أساس قوميته لا طائفته. وما لبث الأستاذ محمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال في العراق أن استقال من منصبه تضامناً مع القومييين المستقلين.

كان هذا المجلس أعلى سلطة في البلاد اسماً، أما الواقع المعاصر فإن عبدالكريم قاسم قد تولى قيادة البلاد، وترأس الحكومة والدولة.

كان الشبيبي لدى قيام الثورة في السبعين من عمره، وهو فتى في شبابه وعنفوان كهولته، كما هو فتى في شيخوخته الموقرة، وقد عزف في هذه الحقبة عن العمل السياسي واتجه للمناخ الثقافي والحياة المجتمعية، فهو عضو في الجامع العلمية في القاهرة ودمشق وعمان، وهو عضو في الجمع العلمي العراقي، ورئيس له في عدة دورات.

وكان يلبي دعوات الجامع العلمية في الوطن العربي، ويلبي دعوات المؤتمرات الثقافية الخاصة، ويشارك فيها مشاركة فاعلة، كما كتب الشبيبي مقالات ممتعة للمجلات والجرائد العربية في شتى الموضوعات الأدبية، وكان له ولع خاص في تاريخ النجف الأشرف فكتب عنه ما شاء، وأصدر عدة كتب متميزة منها «مؤرخ العراق ابن الفوطي» و«أدب المغاربة والأندلسيين» وسواهما.

وللتاريخ فقد دعي الأستاذ الشبيبي لاحتفالات «جامعة القرويين» في المغرب، ممثلاً للعراق لإلقاء بعض المحاضرات والبحوث، وكنت في توديعه واستقباله، ولدى عودته ارتجلت هذه الأبيات:

سما في مشرق الدنيا وجلى	مقربها فتى الوطن الحبيب
وزار المغرب الأقصى.. فأصغت	له أسماء مختلف الشعوب
كأنك إذ وقفت بهم خطيباً	تقيس القول بالنظر المصيب
كمي شق مدرجة العالي	وهب يصد عادية الخطوب
أنابغة العراق... لقد تعال	صداك.. وحل وعياً في القلوب
ورأي العبقري إذا تسامى	كسيف العسكري لدى الحروب
ولا عجب - أبا الأجيال - يبقى	إذا ما جئت بالعجب العجيب
يقول الناس: نابغة جريء	وقد صدقوا: فأنت: رضا الشبيبي

فشكر ذلك الشبيبي مغتبطاً على عاداته في بسماته وسمته الرائع، وكان ذلك في

١١/١ / ١٩٦٠م.

واستمر الشبيبي في ديوانه العامر يستقبل معارفه وأصدقاءه صباح كل جمعة من الأسبوع، وديوانه هذا محفل أدبي وعلمي وسياسي وفكاهي من نوع رائع، فهو مدرسة سيارة للمعرفة الإنسانية، ومتعة نادرة للترفيه النفسي، تبحث فيه المسألة العلمية، وتذكر الطرفة الأدبية، وتعالج القضية السياسية، وفيه الدعابة المتزنة، والتعليقة الهادفة، والفكاهة البريئة، وكان حضاره سياسي العراق المخضرمون والمحدثون، وأدباء الجيل الشيوخ والشباب، وقادة الفكر، وكنت من المواظبين فيه، أتلقى وأستمع، ولا أتحدث إلا قليلاً، وقد يطلب إلي الشبيبي قراءة ما استجد من الشعر فأقرأ، وفي هذا الديوان تعرفت على طائفة كبيرة من السياسيين والمفكرين، وما زالت ذكرياته تترأى حية نابضة، وبالرغم من مرور

أكثر من أربعين عاماً على ذكرياته فمازلت أحن لها حنيناً شجياً يأخذ بمامع الجوانح والأسيس، ويمتلك العواطف والمشاعر.

وكان الشبيبي في مجلسه هذا كثيراً ما يعالج أوضاع العراق من خلال التوجيه والنصح الكريم، وقد يستطلع بعض المسؤولين - على قلتهم - ومنهم الزعيم عبد الكريم قاسم - رأيه في بعض الشؤون فلا يبخل بإبداء الرأي السديد والواقع الصريح.

وكان الحكم قد استولى عليه العسكريون فوجاً بعد فوج، ورعيلاً إثر رعييل في اتجاهات شعبية أو عربية أو يسارية، ولم يكن منطقتهم يحفل بالاستنتاج أو الشورى، بل هو منطلق القوة العسكرية في تداعياته وإفرازاته الفجة، فوصلت الحال إلى هوة سحيقة لا يصح معها الصمت، ولا يحمد السكوت، فعقد المهرجانات في كل من النجف الأشرف وكربلاء وبغداد والكاظمية - وقد شارك الشبيبي في قسم منها - والحلة والبصرة والديوانية وبقية قصبات العراق تفصح من لا كلمة الصادقة، وتجأر بالصرخة المدوية استنكاراً لمظاهر الطائفية والإقليمية، وكان لها مخططون يتلقون تعليماتهم من الصهيونية والماسونية العالمية.

ولم يحفل الساسة العسكريون ببناء المخلصين من أبناء العراق، حتى إذا شكلت أول رئاسة حكم مدنية بقيادة الدكتور عبد الرحمن البزاز، وهو مثقف عصري، وقانوني بارع، وقومي معروف وجه إليه الشبيبي مذكرة سياسية شاملة، كانت فيها الحلول لكثير من مشكلات البلد لو استمع إليها، ولم يستطع البزاز إحداث أي تغيير سوى فرض بعض وزراء الشيعة في التشكيلة الوزارية، فالرئيس عبد السلام عارف رئيس الدولة، وهو ذو سياسة طائشة عمقت مفاهيم الطائفية والإقليمية، ولكن المخاطب البزاز في المذكرة.

مذكرة الشبيبي رئيس الوزراء^(١) :

السيد رئيس الوزراء/ الدكتور عبد الرحمن البزاز المحترم

يسعدني أن أشير إلى محادثتنا التلفونية الموجزة غداة اضطلاعكم بأعباء المسؤولية، وما تضمنت من التمنيات الطيبة لكم بالتوفيق، ويطيب لي كذلك أن أعزز ذلك الحديث، بهذه المذكرة الموضحة لطائفة من القضايا والمشكلات الخطيرة التي تواجهها البلاد، راجين أن يحالفكم التوفيق في درسها فقرة فقرة، تمهيداً للأخذ بمضامينها قدر الإمكان، ومما شجع على تقديم هذه المذكرة في هذا الظرف بالذات أن رئاسة الحكومة يشغلها أحد رجال القانون، وتلك خطوة حسنة، وأحسن منها أن يكون المسؤول ذا سند شعبي متين، وهو أمر يساورنا الشك فيه الآن.

كان الشعور الوطني في العراق يتجلى بالغيرة الوطنية والحب العميق لأرض الآباء الأجداد، وكان هذا الشعور الحافز الأول لصيانة وحدة البلاد، ولكن الأحداث والكوارث التي حلت بها نتيجة تصارع الأهواء وتشجيع التفرقة عصفت بهذا الشعور النبيل وأقصته على أبعاد وأعماق سحيقة، يخشى أن تتيح للأجنبي المتربص الفرصة للنيل من وحدتنا الوطنية المقدسة، ولم يعد خافياً على أحد أن البلاد العراقية تجتاز في ظروفها الحالية مرحلة لا تحسد عليها من مراحل

(١) كتب الدكتور سعيد السامرائي في مقدمة ذكره للمذكرة ما يلي: بعث الشيخ محمد رضا الشبيبي في ٢٨/١٠/١٩٦٥م، بمذكرة إلى عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد السلام عارف، الذي كان معروفاً بطائفته الشديدة، والتي كانت تعبيراً عن مظلومية الأغلبية الشيعية في العراق، ولكن القضاء عاجل الشيخ الشبيبي فتوفي بعد شهر من تقديم المذكرة، وبعد عودته من فلسطين حيث ذهب لحضور احتفالات المرحاج في القدس الشريف.

وكما في ميثاق النجف، فإن مذكرة الشبيبي علاوة على تتببها على سياسة التفرقة الطائفية التي تتهجها الدولة، والتي زادت في عهد عبد السلام عارف، تضمنت أموراً عامة، بل احاطت إحاطة تكاد تكون شاملة، بالشؤون الزراعية والإدارية والنفسية والمهنية والسياسية، وكذلك موضوع الوحدة العربية.

ظ: سعيد السامرائي/ الطائفية في العراق - الواقع والحل/ المرحق/ ٣٩٩. لندن/ مؤسسة الفجر/ ١٤٢٣هـ - ١٩٢٣م.

حياتها، وكيف تحسد على مراحل موسومة بكثرة مخاوفها ومشكلاتها، وما يتخللها من شكوك واحتمالات، وقد تسنى لي أخيراً أن أتصل بجمهرة من أبناء البلاد، وأن ألس مواقع الألم منهم والإحساس بما يخالجهم من سخط وتذمر، ويف وسعي، بل أرى من واجبي، أن أسجل ملخصاً مظاهر ذلك في الفقرات التالية:

١- جاء على لسان السيد رئيس الوزراء في مؤتمره الصحفي قوله: إن الحكومة عازمة على إعادة الحياة الدستورية للبلاد، وإجراء انتخابات حرة، وبهذا كما لا يخفى ستنتهي الفقرة بالانتقالية، وتستقر الأوضاع في البلاد، ويتمكن الشعب من ممارسة حقه القانوني في انتخاب من يراه صالحاً لإدارة البلاد وتحمل مسؤولياتها الجسام.

وإننا نوكد على ضرورة القيام عاجلاً بوضع أسس قانون الانتخابات العامة وعرضها على الشعب ليبين رأيه فيها، حتى تتم الانتخابات المباشرة خلال فترتها المحددة في الدستور المؤقت، على أن يجري ذلك بإشراف سلطة معروفة بالحياد والاستقامة، سلطة تضمن للجمهور حرية الصحافة والرأي والتعبير.

٢- تناول السيد رئيس الوزراء في مؤتمره الصحفي موضوع الوحدة العربية والاتحاد، وأجاب عن التساؤلات الكبيرة التي أثيرت حول تصريحاته، وفي رأينا أنه مهما كانت اتجاهاتنا السياسية والاجتماعية في القضايا العربية فإن الوحدة الجغرافية ووحدة التاريخ والمصير قادرة في الوقت الحاضر على أن تخلق بيننا وحدة عمل، نواجه بها التحديات والمخاطر، إن الوحدة العربية في رأينا هدف يتم باستفتاء الشعب عليه، وأن التضامن العربي وسيلة لهمايته.

٣- ما انفك حكم العراق في عصرنا هذا بالذات مشرباً بالأهواء والأغراض، وإن كانت تلك الأغراض مقنعة أو مغلفة بألفاظ خلافة، ولم يكن الطعن في الحكم المذكور سهلاً، لأنه في ظاره مستمدة من مبادئ بنيت عليها القوانين المرعية، وقد اعتبرت الطائفية بموجب هذه القوانين جريمة تعاقب عليها، ولكن العبرة ليست

بالألفاظ المجردة هذه القوانين جريمة تعاقب عليها، ولكن العبرة ليست بالألفاظ المجردة والتشريعات المقنعة، بل بالتطبيق السليم والإدراك الصائب لروح تلك القوانين، ولم تكن التفرقة الطائفية مشكلة سافرة من مشاكل الحكم كما هي اليوم، ولم تكن مصدراً باعثاً على القلق المستحوذ على الشعب طالما استنكرت التفرقة وكافحتها وطالبت بالإقلاع عن هذا الأسلوب المقوت، وطالما تنادى المخلصون باتباع نهج آخر تراعي فيها المساواة المطلقة التي أكدت عليها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

الانتفاض على سياسة التفرقة:

ومن الواضح أن الشعب العراقي انتفض أكثر من مرة على سياسة التفرقة الرعناء، وعمل منذ ثورته الأولى عام ١٩٢٠م على إقامة حكم وطني ديمقراطي، يسهم بإقامته وينعم في خيراته أبناء الشعب كافة، لا يفرقهم عنصر أو دين أو مذهب، وقد بارك الشعب ثورة الرابع عشر من تموز وعلق عليها آمالاً كبيرة، وتوقع المخلصون أن تستأصل جذور النعرات المفرقة باستئصال قواعد الاستعمار وركائزها، غير أن الأحداث الأخيرة برهنت مع بالغ الأسف على انبعاث روح التفرقة بشكل أشد وأعنف من ذي قبل بكثير.

ولا نذيع سراً إذا قلنا أن كثرة الشعب ساخطة جداً من جراء ذلك، وأنها تعتبر كرامتها مهانة وحقوقها مهضومة، ولا سيما وقد رافق ذلك سوء اختيار بعض من يمثلونها في جهاز الحكم، وإذا كان من الممكن أن تغض هذه الكثرة الشعبية نظرها عن بعض حقوقها في وظائف الدولة، وترك شبابها المثقف من حملة الشهادات العالية وغيرهم دون عمل، وإذا كان من الممكن أيضاً أن تغض هذه الكثرة النظر عن التقصير المتعمد في إنعاش مرافقها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وإذا كان من الجائز أن تغض نظرها عن مواقفها المشرفة في الجهاد

والتضحية، فإنها لا يسعها غض النظر عن التعريض بعروبيتها وأصالتها وكرامتها وإخلاصها للوطن وللدولة التي أقامتها على جماجم شهدائها الأبرار، ذلك التعريض المثير الذي يلوح به بعض المسؤولين والصحف الأجيعة.

هذا وما دامت الحكومة الحاضرة قد أعلنت عن التزامها الصراحة في القول وتصحيح الأوضاع المنحرفة، بادرنا تذكيرها بهذه الحقيقة، إذ ليست الدولة وأجهزتها ووظائفها ومجالات العمل فيها وقفاً على طائفة من دون أخرى، إنما توزع واجباتها حسب الكفاية، ولعل نظرة فاحصة إلى الدواوين الكبيرة في الدولة ومن يشغلها تكفي دلالة على سياسة محاباة، خصوصاً وأن كثيراً من القربين محرومون غالباً من المؤهلات والكفايات والإخلاص.

٤. لاشك أن صيانة الوحدة الوطنية وحقن الدماء وإعادة الطمأنينة والسلام إلى ربوعنا في الشمال العزيز يتطلب منا درساً دقيقاً للقضية الكردية التي طال عليها الأمد، ولما كان العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن يتقاسمون غرمه وغنمه، فإننا نرى أن لإخواننا الأكراد حقاً في التمتع بحقوقهم المشروعة، وذلك عملاً بالإدارة اللامركزية ضمن الوحدة العراقية، هذا الأساس الذي يقضي ضرورة الأخذ به أسلوباً للحكم في العراق من الناحية الإدارية.

٥. تعرضت النقابات في العراق لمختلف أوجه الضغط السياسي، الأمر الذي صرفها عن خدمة منتسبيها في حدود صلاحياتها وأغراضها المهنية، كما تحملت الفئات العاملة تبعات ذلك ففصل وسجن كثير منهم، وحرمت عوائل من مصادر عيشها، لذلك وجب على الحكومة أن تعيد النظر في أحكام قانون العمل، آخذت بنظر الاعتبار الأخطار التي ظهرت لدى تطبيق القانون المذكور، وأن تفسح المجال لقيام نقابات مهنية تراعي مصالح المنتسبين إليه رعاية حقة.

٦. لا نريد الدخول في جدل عن الاشتراكية من حيث كونها صالحة أو غير صالحة للعراق، ولكننا نكتفي بالرجوع إلى حقائق الأشياء، وربما حصل فعلاً من

نتائج ليصدر الحكم مبنياً على الواقع دون الخيال، فعند تطبيق القرارات الاشتراكية في ١٤ تموز ١٩٦٤م نلاحظ أن أوضاع العراق المالية والاقتصادية تزداد تخبطاً وارتباكاً: زيادة في البطالة وقلة في الإنتاج وتبذيراً في أموال الدولة وتهريباً لرؤوس الأموال الوطنية وعجزاً في الموازنة.

لقد أشار السيد رئيس الوزراء إلى طبيعة هذه الاشتراكية بقوله في مؤتمره الصحفي: «إن هذه الاشتراكية لم تغير في الوضع الاقتصادي والاجتماعي في البلاد بقدر ما تحسنت أحوال طبقة معينة من الموظفين والمنتفعين على حساب الآخرين».

إننا نؤمن بأن الديمقراطية الاقتصادية هي النظام الذي يلائم ظروفنا وحاجاتنا، وإننا نؤمن بالعدالة الاجتماعية، ونعتبر الفروق الاقتصادية في مجتمعنا خرقاً لقواعد هذه العدالة، فلهذا يمكن العمل على تقليل هذه الفروق عن طريق توزيع الضرائب، وزيادة مكاسب الطبقة العاملة، ووضع خطة شاملة للتنمية الاقتصادية وزيادة الدخل العام.

إننا نطالب الحكومة بتدارك ما أدت إليه تلك السياسة بالمرجلة من بطالة، وذلك بإيجاد عمل للعاملين يكفل لهم مستوى من المعيشة يتلائم وكرامة الإنسان، كما نطلب إعادة النظر في الأوضاع الاقتصادية مع تعيين مجالات القطاع العام والقطاع الخاص لكي ينصرف المواطنون إلى مزاوله أعمالهم بحرية تامة واطمئنان كامل.

القطاع الزراعي:

إن القطاع الزراعي في العراق يمثل مصدراً أساسياً من مصادر الثروة العامة، ولقد ظهرت في قانون الإصلاح الزراعي أخطاء أدت إلى تخلف الزراعة، ولهذا نطلب إعادة النظر في أسس القانون المذكور وذلك في ضوء الأخطاء التي ظهرت في

مرحلة التطبيق، وندعو للعمل على تعويض المستولي على أرضيهم ومنهم أصحاب حق اللزمة، إذ أننا لا نقر مبدأ المصادرة مطلقاً.

ونطالب بإعادة النظر في موضوع الضرائب خاصة ضريبة الدخل وضريبة الشركات والتعديلات التي جرت عليها أخيراً، ونحث على دراسة علمية مبنية على التجارب التي مرت بها تلك القوانين لدى التطبيق، ونطالب بإعادة النظر في القوانين الأخرى التي شرعت في ظروف مستعجلة، فجاءت مخالفة لأحكام شريعتنا الإسلامية، وغير ملائمة لأوضاعنا وتقاليدنا الاجتماعية، إن الشريعة الإسلامية هي الأساس الراسخ الذي يقوم التشريع عليه، وإن أي قانون أم نظام يتعارض معها يعتبر تحدياً لشعور الأمة وعقيدتها الراسخة.

٧- لا تزال مفاوضات النفط بين الحكومة العراقية والشركات العاملة في العراق طي الكتمان ولم تعرف تفاصيلها بعد، ومع تقديرنا للجهود التي تبذل لاستخلاص حقوق العراق من الشركات الأجنبية، إلا أننا نرى في القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦٣م^(١) مكسباً وطنياً يلزم الحفاظ عليه، لذا نهيب بالسلطة أن تعرض نتيجة المفاوضات قبل الالتزام على ممثلي الشعب حين تعود الحياة الدستورية إلى البلاد ليقول الشعب كلمته بها.

٨- كان الهدف الأساسي في تكوين الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق أن يضم منتسبي النقابات ومختلف الفئات العاملة، غير أن هذه المنظمة لم يحالفها التوفيق على الرغم من إسناد السلطة لها مادياً ومعنوياً، ذلك لأن الأهواء تنازعتها منذ البداية، يضاف إلى ذلك منهجاً للحكم في البلاد، ولهذا نطالب بأن تبادر الحكومة إلى تعديل القانون الذي قامت بموجبه هذه المنظمة لتمكين الفئات الوطنية التي تستمد آراءها من صميم هذا البلد من ممارسة نشاطها السياسي.

(١) وهو القانون الذي أصدرته الحكومة العراقية آخر عهد عبد الكريم قاسم.

وهذا وفاءً منا لأمتنا ووطننا وقياماً بالواجب المفروض علينا، وإبراءً لذمتنا بادرنا إلى بيان أهم مشاكل الساعة التي تخالج أفكار الجمهور مؤملين أن تعنوا بدراستها وبذل الجهود في سبيل الوصول إلى الحلول السليمة للمشاكل المذكورة كافة، وختاماً نبتهل إلى الله العلي القدير أن يسدد خطانا جميعاً إنه ولي التوفيق.

محمد رضا الشبيبي

الشبيبي وافتتاح مؤتمر المجامع العلمية في بغداد:

كان الشبيبي رئيساً للمجمع العلمي العراقي، وقد نأى به عن التأثير السياسي، وأبقاه منبراً حراً للعربية في شؤونها اللغوية والعلمية بعيداً عن المؤثرات الخارجية، ولما كان الشبيبي من دعاة الوحدة العربية منذ صباه وحتى شيخوخته المباركة، فهو القائل عام ١٩٢٠م أي قبل ولادته دعاة الوحدة العربية: كونوا الوحدة لا تفسخها نزعات الفكر والمعتقد أنا بايعت على أن لا أرى فرقة.. هاكم على هذا يدي^(١) فقد دعا إلى عقد مؤتمر اتحاد المجامع العلمية في الوطن العربي في بغداد في تشرين الثاني/ ١٩٦٥م، ووجهت الدعوة إلى أبرز أعضاء المجامع اللغوية والعربية في البلاد العربية لحضور المؤتمر المذكور، وكانت الدعوة باسمه باعتباره رئيساً للمجمع العراقي، فلبيت الدعوة، وأشعر المجمع بأسماء أعضاء المجمع الذين سيحضرون المؤتمر ببغداد.

(١) محمد رضا الشبيبي/ ديوان الشبيبي/ ٨١ نشر جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف/ دار النشر والتأليف والترجمة/

وكان العقيد الركن عبد السلام محمد عارف رئيساً للجمهورية، فطلب أن يفتتح المؤتمر باعتباره رأس الدولة، فرفض ذلك الشبيبي، وقال: إن المؤتمر مؤتمر علمي وليس مؤتمراً سياسياً، وإذا كان كذلك هو كذلك، فأنا الذي أفتتح المؤتمر لأمرين: الأول، أني دعوت هؤلاء العلماء، وهم سيقدمون تلبية لدعوتي شخصياً، والثاني؛ أني رئيس المجمع العلمي، ولما كان المؤتمر علمياً فأنا أفتتحة لا رئيس الجمهورية.

وأصر عبد السلام على افتتاح المؤتمر، وأصر الشبيبي على رفض ذلك، ووقع أعضاء المجمع في حرج من أمرهم، فهم يحترمون الشبيبي احتراماً كبيراً، وهم يحاولون مجاملة رئيس الجمهورية لأن بعضهم وزراء عنده وإداريون في أجهزة النظام الحاكم.

وكان الشيخ الشبيبي قد تلقى دعو ملحّة من هيئة المهرجان العالمي في القدس الشريف للاحتفاء بالإسراء وبمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على المبعث النبوي، في التاريخ الذي سينعقد فيه المؤتمر، فأراد كسر هذا الإحراج لعلمه بأن عبد السلام أحقق فقد يلغي مؤتمر المجمع العلمية، وهو لقد عقد بافتتاح رئيس الجمهورية له فسوف لا يحضر، إذن فليغادر العراق إلى مؤتمر القدس ومهرجانه الذي عقد برئاسته أيضاً، وغادر بغداد في ٢٠/١١/١٩٦٥م، وانتهت أعمال مهرجان القدس بانتهاء أعمال مؤتمر بغداد، فعاد إلى بغداد مساء يوم الخميس ٢٥/١١/١٩٦٥م، وكان في استقباله في مطار بغداد الدولي، جمهور كبير من السياسيين وعلماء بغداد والكاظمية وأساتذة جامعة بغداد، وكوكبة من الشعراء والأدباء والمثقفين، وجملة من العمال والطلبة وسائر الطبقات الشعبية بما تجاوز الألف من الرجال، وقد حف به هؤلاء جميعاً مرحبين ومستقبلين، وكان الشبيبي دمث الأخلاق، رحيب الصدر، طيب المجاملة، وقد صافحوه فرداً فرداً، ورحب بهم فرداً فرداً، وشكر المعنيين بتهيأة الاستقبال في المطار، وتمنى للجميع السعادة

في ظل وطن ينعم بالحرية والعدالة والاستقلال، وقد أثر هذا الجهد صحياً عليه، فهو في السابعة والسبعين من عمره، ولكنه لم يظهر ذلك أبداً. وكانت مقاطعة مؤتمر المجامع العلمية من قبل الشبيبي لتدخل رئيس الجمهورية في شؤونه آخر صفحة من نضاله السياسي والوطني.

وفاة الشبيبي وتشيعه:

ومن مطار بغداد ذهب الشيخ الشبيبي إلى داره في الساعة العاشرة مساءً، وبعد منتصف الليل من ليلة وصوله شعر الشبيبي بأوجاع في صدر وخفقان في القلب، وكان إلى جنبه ولده الدكتور أكرم الشبيبي فأسعفه بما تيسر له، وحاول نقله إلى المستشفى فأبى الشيخ ذلك، وما لبث أن لبي نداء ربه ففارق الحياة عند طلوع الشمس يوم الجمعة في داره بالزوية من الكرادة الشرقية ببغداد في ٢/ شعبان/ ١٣٨٥هـ - ١١/٢٦ / ١٩٦٥م.

وأحطنا خبراً بالنبأ المفجع، واتصلت بوزارة الإعلام وبالإذاعة والتلفزيون العراقي، فتلکأوا بادئ الأمر، وأذيع النبأ متأخراً بعد أن تجمعت عشرات الآلاف من الجماهير قرب داره، وقد مثلوا شرائح الشعب كافة، وحمل النعش ووراءه مئات السيارات الخاصة مخترقا شوارع الكرادة فالباب الشرقي عبوراً إلى الكرخ مروراً بدار الإذاعة والتلفزيون فالمتحف العراقي وباتجاه الطريق العام حتى جسر الخر فأم الطبول، حيث ودع من قبل جمهور من المشيعين العائدين من الشيوخ والمرضى وذوي الأعدار، وعدها رافق الجثمان إلى النجف الأشرف أكثر من ألف سيارة، وكانت القصبات التي يمر عليها الجثمان قد انتشر فيها آلاف الأعلام السوداء، ولافتات النعي الحزين المؤثر، وكان ذلك تعبيراً عملياً يستدل به على مدى القاعدة الشعبية الكبرى التي يتمتع بولائها الشيخ الشبيبي باعباره زعيماً ووطنياً متميزاً، يمثل أطياف الشعب العراقي بمختلف اتجاهاته.

وفي صباح السبت ٣ / شعبان / ١٣٨٥ هـ - ٢٧ / ١١ / ١٩٦٥ م جرى للفقيد ا لعظيم في النجف الأشرف تشييع حافل بمئات الآلاف من المشيعين الذين انضمت لهم عشائر الفرات الاوسط، حيث أغلقت الأسواق وعطلت المدارس والمعاهد الرسمية والدينية.

وفي الصحن الحيدري الشريف أدى عليه الصلاة الإمام السيد محسن الحكيم، ومن خلفه العلماء الأعلام ثم تبارى الشعراء والخطباء في تأبين الفقيد، والنعش أمامهم، والجماهير الغاضبة حولهم، وبحضور الإمام الحكيم، وقد ألقى قصائد رقيقة ذات نبرات حزينة كل من:

١- الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي.

٢- الدكتور مصطفى جمال الدين.

٣- الدكتور أحمد الوائلي.

٤- الدكتور داود العطار.

٥- محمد حسين علي الصغير كاتب هذه السطور، وقد ألقى قصيدة مؤثرة بخمسين بيتاً، مطلعها:

أخرست صائب منطقي وبياني وعقدت في ألم المصاب لساني
وقد أردفتها بخطاب ارتجالي مسهب في عشرين دقيقة سلطت فيه الضوء على
أوضاع العراق السياسية والطائفية والاجتماعية التي دعت إلى عزل الدولة عن
الشعب، واضطرت الشبيبي نفسه إلى تقديم مذكرته السابقة إلى رئيس الوزراء.
وقد أدى كل من القصيدة والخطاب إلى اعتقالي في اليوم الثاني في مديرية الأمن
العامة ببغداد، وأسفر ذلك الاعتقال عن غضب جماهيري بالغ، واحتجاج سياسي
هائل من قبل القادة والسياسيين أفرج على أثره عن كاتب السطور، على أن يقدم
للمحكمة.. ولم يقدم، بقرار من الدكتور عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء
الآخر بالاعتقال والإفراج.

وبعد مراسم الزيارة لحرم أمير المؤمنين^ع، سار المشيعون بالجثمان الطاهر نحو دار الشيخ الشبيبي التي ولد فيها في النجف الاشرف في أول السوق الكبير مما يلي الميدان في الزقاق الذي سمي فيما بعد بـ«شارع الشبيبي» ودفن إلى جنب والده الشيخ الجواد وأخيه الشيخ محمد باقر الشبيبي، وبقية أفراد الأسرة. وأقيمت في أغلب مدن العراق الفواتح الضخمة على روح الفقيد وقد تجاوزت المائة، وقد أقيمت فيها مئات القصائد والمحاضرات والبحوث في تأبين الفقيد.

تأبين الشبيبي وأربعينه:

تشكلت لجنة مؤهلة تضم أربعين شخصية عراقية تمثل أطراف الشعب العراقي لإقامة حفل تأبيني مهيب بتناسب مع العمق الوطني الذي يحظى به الشيخ الشبيبي، فكان ذلك، إذ قررت اللجنة إقامة الاحتفال في ذكرى أربعين الشبيبي بجامع برائنا ببغداد، فأقيم ذلك الحفل التاريخي الكبير في ٢٠ / شوال / ١٣٨٥ هـ - ١١ / شباط / ١٩٦٦ م، وحضر الحفل أكثر من ثلاث آلاف عراقي وعربي، إذ عدد الكراسي المصفوفة كان ثلاث آلاف كرسي، عدا الوقوف ورجال الاستقبال والتشريفات والتوديع، وقد شارك فيه أدبياً أعلام الأمة وقادة الفكر وشعراء العراق، وكوكبة من الوطن العربي في طليعتهم عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين رئيس المجمع اللغوي في القاهرة، وممثلون عن المجمع العلمية، وأساتذة الجامعات العريقة، وكان الشعر العراقي متميزاً في مهرجان التأبين، وشارك فيه إثنا عشر شاعراً، وكانت القصائد تتناول جهاد الفقيد في سبيل تكوين الدولة العراقية، ومآثره العلمية والأدبية والتأليفية، وقيادته للشعب العراقي في أحلك الظروف، كما عرضت لمآسي العراق والأمة في ظل حكم عسكري طائش، وحاربت الإقليمية والطائفية والمحسوبية، وكانت قصيدة كاتب هذه السطور أشدها عنفاً،

وأبلغها وقعا، وأصدقها لهجة ومحاسبة للعهد الحاكمة، وأكثرها تأثيراً العواطف والأحاسيس.

ونضع بين يدي القارئ قصيدة المؤلف مع مقدمتها كما هي في ديوانه المخطوط، وهي جزء لا يتجزأ من كتابة تاريخ العراق الحديث.



قصيدة المؤلف في أربعين الشيخ الشبيبي

أقيمت في المهرجان التابيني الأكبر الذي أقيم في «جامع براثا» ببغداد في ١٠/٢٠/١٣٨٥ هـ - ١١/٢/١٩٦٦ م بمناسبة أربعين فقيده العراق الزعيم الوطني المحبوب العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي.

وقد ضم الاحتفال آلاف الشخصيات السياسية العراقية، وقد كان الاحتفال ميداناً تبارى فيه ألمع الشعراء والأدباء من العراق والبلدان العربية، وقد أثارَت القصيدة حماس المحتفلين، وجلبت سخطهم على الحاكمين حتى أنستهم المناسبة فعجوا بالتصفيق والهتاف، لم تنشر الصحف والمجلات المعنية القصيدة، واعتقل الشاعر على أثرها في مديرية الأمن العامة ببغداد بقرار من رئيس الوزراء الأستاذ عبد الرحمن البزاز.

أطلق الشاعر أثر تدخل العناصر السياسية المخلصة، وبعض الضباط الأحرار لثورة تموز، تهدةً للهيّاج الجماهيري العاصف ونزولاً عند الإمام الواقع.

فيم الوجوم؟ مضى الزعيم	وعلى يديه من الرسالة مولد
القائد الأجيال لا متمت	عنتاً.. ولا صلف الخطى متردد
والمستقيم.. إذا تنكب رائد	والمستفيض إذا تعكر مورد
والعبقري.. إذ استجد تجمع	والعسكري.. إذا استعد تحشد
والمستعير جهاده وجهوده	لحمى العقيدة.. وهو فذ مغرد
ذياك نهج الخالدين.. ونهجهم	شرف على هام الزمان مخلد
نهج به سلك الهداة كرامة	وعليه قد سار النبي محمد
فإذا هم جحدوا حقوقك..	كالشمس في رآد الضحى لا اتجد
وإذا رزئنا بافتقارك.. إنه	شعب يموت.. وأمة بك تفقد

وإذا تجاهله الطغاة.. فخطبه

جلل.. تقوم له البلاد وتقعده

الصبر بعد «أبي سنان» نافذ

وأرى الحوادث كيدها لا ينفذ

خلت الديار.. وصوحت

وترنج الوادي.. ويريعض العهد

وتنفست رئة الزمان بنكبة

عظمى.. ويفقد إذ يغيب الفرقد

ومحافل الآداب أكل ربعها

و«عكاظ» قوض سوقه «المربد»

ومطافح الشعب الجريح

وحداثتها.. وبيومه الضاحي .. غد

فالشعب بعد «أبي سنان» واجم

والأفق بعد «أبي سنان» ملبد

ولقد يعز عليك.. أنك غائب

عنا.. وأن الطائرات تهدد

ولقد يعز عليك.. أن قيادة

فلبثت.. وأن سأم الخمول المقود

ولقد يعز علي.. أنك ميت

ترثى.. وأنت الخالد المتجدد

شيخ العراق.. لك العراق

وشبابه.. متطلع مستنجد

هب أنك الرمز الذي لم

فالدهر ينصف ما جداً ويخلد

جددت عهد المنقذين كرامة

ولأنت فينا منقذ ومجدد

سبعون عاماً في الجهاد

للشعب تعمل جاهداً وتوحد

لم تستلن عوداً.. ولم تمدد

للظالمين.. ولم يخنك المقصد

حرب على مستعمر..

يدمي الطغاة لهيبتها المتوقد

ولقد يثرك ما تفاقم رزؤه

ولقد يهيجك غرس ما لا يحصد

سيرت «تذكرة» لمن لا يرعوي
وإذا اتهمت بما تقول مرحب
لك عن عروبتك العريقة
ومن الضمير نزهة.. ومن
سيقول عنك الجيل بعد

ورصفت إبريزاً لمن لا ينقد^(١)
فلربما اتهم الصباح الأرمد
ذاك، ومن شرف العقيدة محتد
فكر يصوب هادفاً ويصعد
بالتجربات... لأنت نعم المرشد

هز النعي بك البلاد فأوجفت
أولست أنت لسانها وبنانها
وجوادها السباق وابن
وبحيث تصطك الوعي
ووقفت في الميدان وحدك
صلد الجنان.. تلفعتك أرومة
ما دنست منك السياسة
حتى إذا شق الطريق لنفسه
برز البعيد لها.. وثار غباره
وتحلبت تلك الضروع عصابة
فإذا الغريب هو الأصيل قرابة

من القلوب.. وأرجفت من اليد
إما طغى خطب، وسل مهند
في حين يتهم خائر أو ينجد
صلب... ويصمد للردى من يصمد
في حين فر مزجر ومعربد
تأبى الهوان.. وهل يذل السيد
إلقا.. ولا غشاك سيل مزبد
ركب.. وأوشك أن يصيب مسدد
والأصل أدنى.. والعراقة أوهد
ومشى على تلك الزروع المحضد
وإذا القريب هو القصي الأبعد

أما الذين تحملوا أعباءها

والدهر يبرق بالخطوب ويرعد^(١)

(١) إشارة للمذكورة التي قدمها الفقيه لرئيس الوزراء الدكتور عبد الرحمن البزاز بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٦٥م وقد مثل بها العراقيين في

استنكار السياسة الطائفية والإقليمية في العراق.

وتجنبوا زلل السرى فاستشهدوا
 وبحيث يستام الحجى مستعبد
 وهم.. وقد سعر اللعيب الموقد
 سر ترصده بغيب موعده
 الجبل الأشم إذ استطال الفدغد
 يسبى المفذ.. ويستتاب المقعد
 وطغى بمحنته الزمان الأنكد
 مهجاً.. ويبلغ أمره المتصيد
 يبدو على القسمات وجه أربد
 هذا الذي نغماته تتردد
 (فرق تسد) إن المفرق سيد^(١)
 جمرأ.. وحيث يذاب حتى الجلمد^(٢)
 إني بمنظار النهى أترصد
 زيفاً.. وبالكذب الصريح معجد
 نزجي الوعود.. ومثلها يتوعد
 «القسيس» ثم «العابد المتهدج»
 والشعي يعلم.. والوقائع تشهد

وتقحموا مضمار كل كريمة
 في حين يجتاح الحمى
 وهم.. وقد حمى الوطيس
 فقد انطوت أمجادهم وقد
 وتصافت تلك الأيادي
 أرأيت نازله كهذي عندها
 أرأيت كيف تدهورت أوضاعنا
 سبجانك اللهم.. تخلق للأبا
 الآن إذ وجه الحقيقة مشرق
 يا للفضاعة أي لغز مبهم
 «ولقد تكونت سياسة
 ووقفت حيث تسعرت أنفاسنا
 أترصد العهد الجديد..
 وإذا الحديث كأسه متزئبق
 طوراً يهدد بالجموع.. وتارة
 وإذا به «الحاخام» ثم إذا به
 هو من خربت بلاءه ووباءه

(١) المورد عرض موضوع لما تعرض له الثوار العراقيون من أبطال ثورة العشرين وما بعدها من صنوف الاضطهاد واحتجاج الحكم

دونهم، وتسليم الإنكليز السلطة لأولئك العملاء الذين سايروهم سرأ وعلنا.

(٢) البيت لسيدي الوالد الشيخ علي الصغير رحمه الله.

(٣) في المورد مقارنة دقيقة بين أدوار الحكم العرقي، وتصوير واقعي لشخصية السياسيين العراقيين في التقلب والأهواء.. وتحذير

للشعب العراقي من الخدم السياسية التي تطفئ على مناخ السياسة في العراق.

يشقي.. ومجترماً يسان ويسعد
وإذا استقام فتعلب مستأسد
وهو الوقور.. إذا تراءى المسجد
«للكرملين» هو الأخ المتودد
تحت الشباك خذیعة تتجدد
وإذا نطقت.. فأني متأكد
غضباً عليك.. فأنت عهد أسود

هو من عرفت بأن ألف مبراً
هو من مشى بميوله متأرجحاً
هو ذلك الذئب المغیر إذا خلا
طوراً إلى أقصى اليمين وتارة
فحذار يا هذي الصقور.. فإنما
وإذا جهرت بها.. فأني واثق
سيقول عهد مقبل عن

حكمت تقووس ضلعها لتأود^(١)
تكلى.. وشعب واجم مستعبد
وبنوه عن أريافهم قد شردوا
فاذا الجواب: عصابة تتمرد
هذا بهذا.. والعدو موعد
فالأنت سهم طائش متعمد
هذا بمطرح.. وذاك مصفد
أما المروعة فهي باب موصد
والمسلمون بغربة قد بعدوا

ولقد سئمنها عهوداً كلما
وطن يضام.. وأمة مما بها
أما «الجنوب» فقد تمزق شمله
وإذا سألت عن «الشمال»
أما «القتال» ففرضه مترجح
يا «سهم مروان» عليك تحيتي
ماذا يراد بنا وأين مصيرنا
و«الطائفية» فتحت أبوابها
و«الجاهلية» قربت أبنائها

(١) المورد يتحدث عن حالة القطر العراقي في تعاقب الحكومات الجائرة عليه، فالجنوب يتمزق، الشمال يتمرد!! والقتال قائم بينهما، فكلاهما أعداء الحكم في نظره، وكان مروان بن الحكم في حرب الجمل يرمي عسكر عليّ «بسهم»، ومعسكر عائشة بسهم، ويقول: أينما أصابت فتح، وينعى الشاعر على الطائفية ومفاهيم الجاهلية ومآسي الاقتصاد ومهازل الاستيراد، ويدعو إلى الانتخابات البرلمانية العظلة وفي نهاية المورد ضج الحفل بالتصفيق المدوي بما قاله أحد الحاضرين نحن في مهرجان وطني لا حفل تأبيني..

سوق يبور.. وثروة تتبدد
طاو.. وأن مرفهاً يستورد
قلم الأديب.. وفكره المتجرد
حكماً بمجلس أمة يتقيد

وإذا نظرت «الاقتصاد» فإنه
ومهازل «استيرادنا» أن الملا
وهناك ما لا يستطيع بيانه
ومتى تحل مشاكل إن لم تجد

أن النضال مشاعل تتوقد
فرقاً.. ولا النور المشعشع يخمد
رمز تخر له.. وأنا نسجد
ماء على مستنقع يتأكسد
مهج تذوب.. وأدمع لا تجمد
لا خصبه.. لا زيتة.. لا العسجد
هذا الغمام المستفيض المرفد
وقضى على «الإصلاح» فيه المفسد
حنقاً.. وثار الألعي الأوجد
تشكو.. وترتقب الاخلاص وتنشد
أبدأ عليك.. فأنت أنت المكمد
آلامه في مهجتي تتولد
ومتى يمل من الرقاد الرقد
في مآتم.. وترى الغراب يغرد
الأوضاع.. وهو الناقم المترصد

يا فتية الوطن المفدى
لا الموت يرقاها.. ولا هي
لا السجن يرهبا لأن شموخها
أيسركم؟ أنا نعيش كما ارتمى
أيسركم؟ أن العراق وأهله
لا أرضه.. وهي الجنان بأرضه
لا الرافدين برافديه.. ولا له
لعب «الدعي» به زماناً طائلاً
فإذا انتقدت.. تضخمت
وإذا سكت.. يلبث فيها أمة
وأذا نطقت.. رأيت غيرك
«هذا الثلاثي» الذي لما تزل
فمتى تصح عزيمة وشكيمة
ومن البلية أن تشاهد بلبلاً
لم يبق إلا الله.. وهو مغير

سبل الرجاء.. فأين أين المنجد؟

يا شعب.. قد عم البلاء

بالنازلات.. وكل قلب مجهد
 والمجد قصر شوطه والسؤدد
 وبدا من الظلمات غول أدرر
 وبكل فصل للفضائح مشهد
 سنن.. وشام العبقرية أبلد
 يغفو لها طرف، وآخر يرقد
 تلك الملذات التي لا تنفذ
 عدلاً.. تضجر سيد ومسود
 نادى الكتاب بها.. وردد أحمد
 حول الفرات.. متى يحين الموعد؟
 هل في الرميثة ثورة تجدد
 في القلب.. فهو على الأسى يتورد
 محمد حسين علي الصغير

وآل الزمان.. فكل فكر مثقل
 والوعي بين أصالة وعمالة
 هبت على الآفاق ريح مرة
 فبكل حي للفضائح منظر
 فالحمد للتاريخ حين تبدلت
 هاتيك من آثارنا أسطورة
 فإذا اشتكيت إلى الشيوخ
 وإذا طلبت من الذين تزعموا
 لم يبق إلا السيف.. وهو
 فصل «الفرات» عن الضحايا
 وسل «الرميثة» عن بقايا
 سبحانك اللهم.. تحتضن

الشبيبي في سطور

- ولد يوم الاثنين، السادس من شهر رمضان المبارك سنة (١٣٠٦هـ) في مدينة النجف الاشرف بالعراق. نهل العلم على يد أبرز العلماء والمفكرين في مدرسة النجف. شارك في الجهاد ضد الانكليز، وطالب باستقلال العراق وحكومة دستورية وطنية ولقب بسفير ثورة العشرين.
- من بناء الدولة العراقية و شغل مواقع مختلفة فيها:
وزير المعارف خمس مرات (١٩٢٤م، ١٩٣٥م، ١٩٣٧م، ١٩٤١م، ١٩٤٨م).
- عضو مجلس النواب لثلاث دورات (١٩٢٥م، ١٩٣٢م، ١٩٣٤م)، عضو مجلس الأعيان (١٩٣٥م، ١٩٥٤م)،
رئيس مجلس الأعيان (١٩٣٧م)، رئيس مجلس النواب (١٩٤٤م)، مؤسس ورئيس حزب الجبهة الشعبية المتحدة.
- مؤسس ورئيس المجمع العلمي العراقي (١٩٤٨م)، وتولى رئاسته ثانية في (١٩٦٣)
عضو في المجمع العربية (دمشق، القاهرة)، حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة سنة (١٩٥٠م).
- له العديد من الكتب والبحوث المطبوعة ومنها: مؤرخ العراق ابن الفوطي (١٩٥٠م) ، تراثنا الفلسفي، حاجته إلى النقد والتمحيص (١٩٥٢م)، التربية في الإسلام (١٩٥٨م) ، أصول الفاظ اللهجة العراقية (١٩٥٦م)، لهجات الجنوب (١٩٦١م) ، أدب المغاربة والأندلسيين (١٩٦١م) ، ابن خلكان وفن الترجمة (١٩٦٢م)، القاضي ابن خلكان : منهجه في الضبط والإتقان(١٩٦٣م)، رحلة في بادية السماوة (١٩٦٤م)، رحلة إلى المغرب الأقصى (١٩٦٥م).
- نظم الشعر مبكرا ونشر الكثير منه في المجلات العربية والعراقية وطبع ديوانه لأول مرة عام (١٩٤٠م)، انقطع عن نظم الشعر وعاد اليه بعد وفاة زوجته عام ١٩٦٤م، ضم هذا الديوان كل ما توفر من شعره.
- انتقل الى رحمة الله في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٥ م ، بعد مشاركته في احتفال الإسراء والمعراج الذي أقيم في القدس.